الرزق

رحلة يقين

هدايات من القرآن والسنة

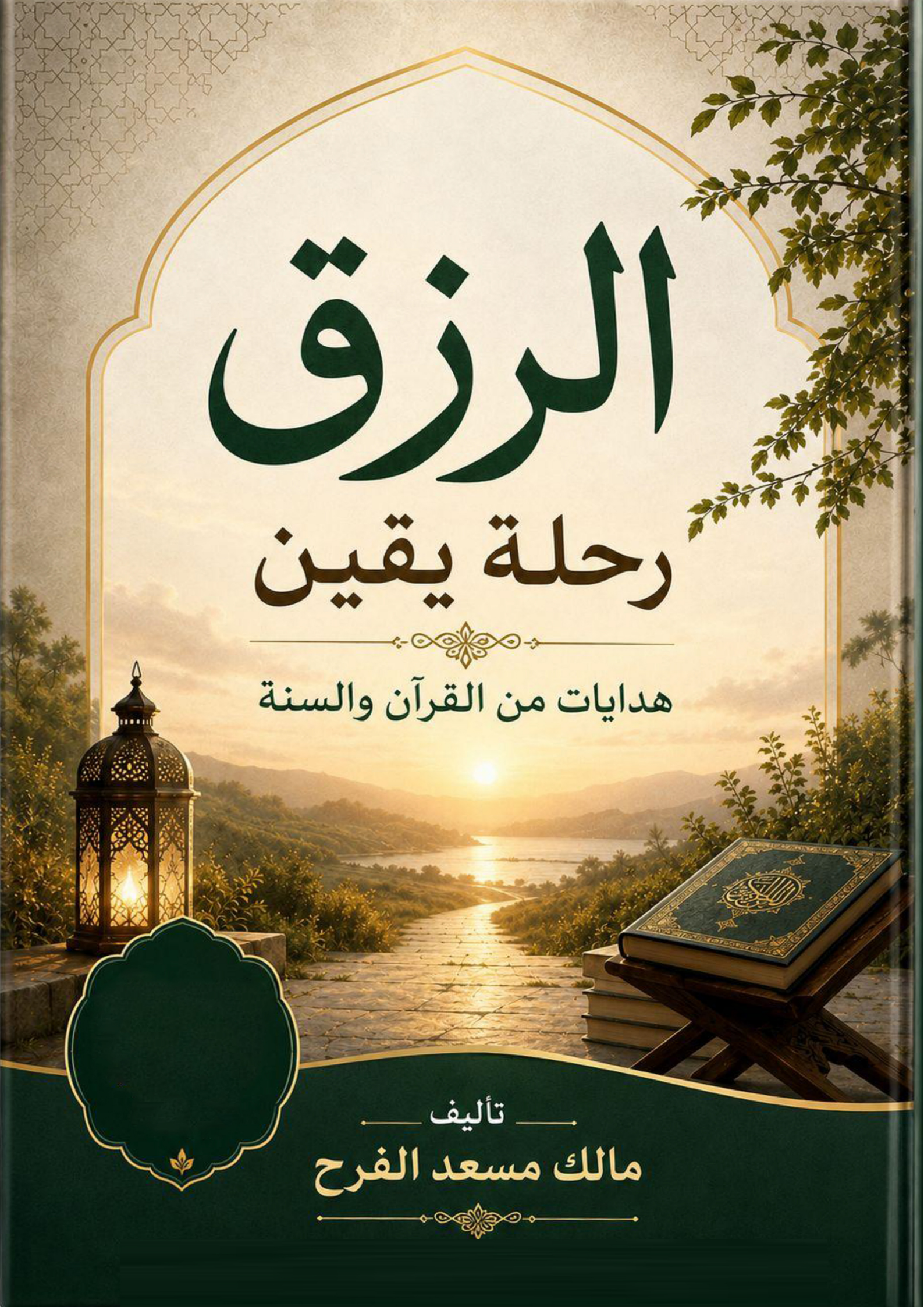

تأليف

مالك مسعد الفرح

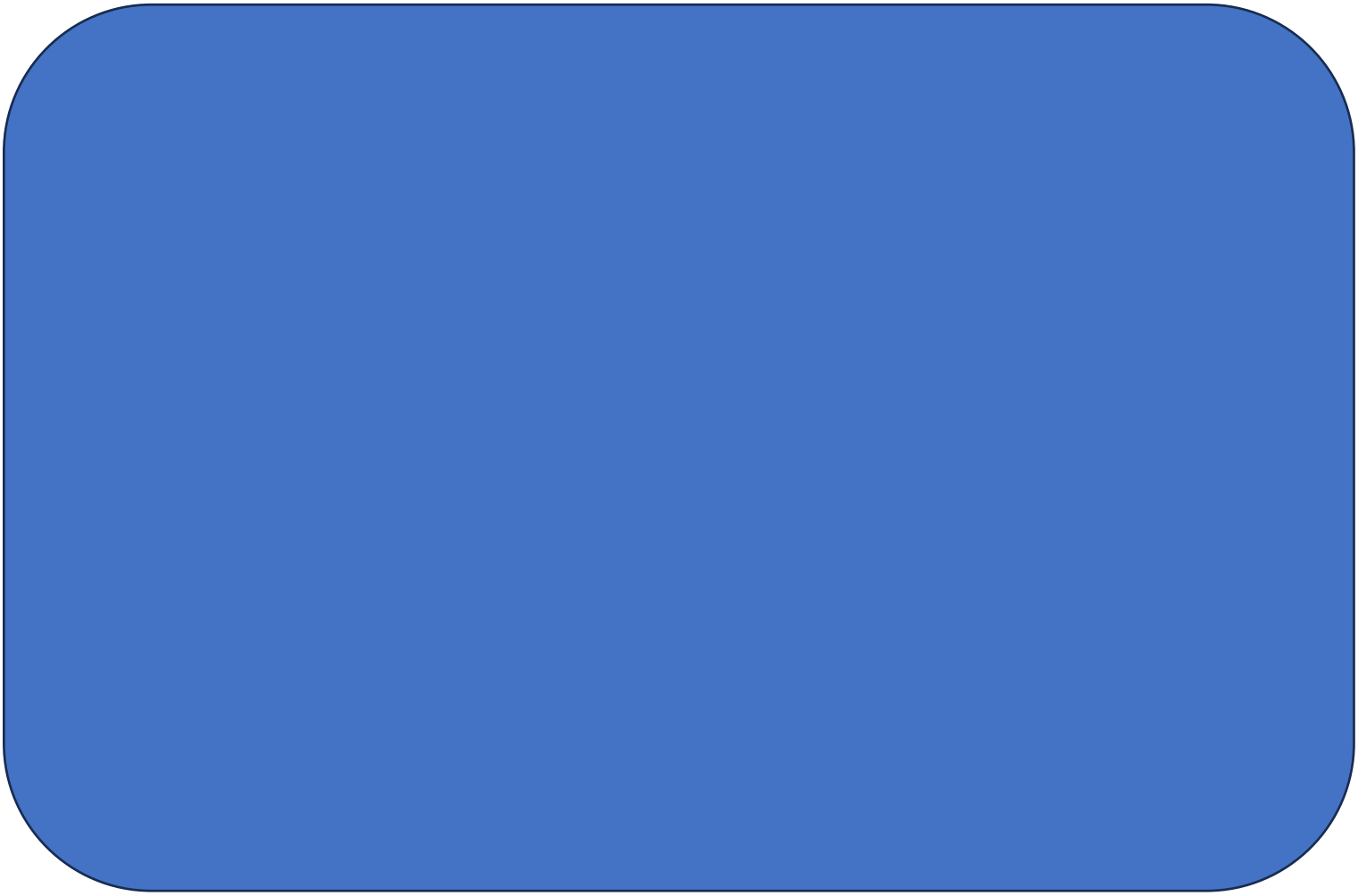

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لزوجتي أم السمح ولجميع أولادي الأعزاء:

إنابة ورحيق والسمح ونهى وميرة وسلمى وسيف وأنس

كما أخص ابنتي الغالية رحيق مالك

على جهودها المباركة في فهرسة هذا الكتاب، وأسأل الله أن يبارك لي فيهم جميعا.

محتويات الكتاب

المقدمة.....10

الفصل الأول :اسم الله الرزاق وأثر الإيمان باسم الله الرزاق في بناء النفس والحياة.....12

تمهيد.....12

أولًا: اسم الله الرزاق.....13

ثانيًا: الرزق من مقتضيات الربوبية.....14

ثالثًا: بين الأخذ بالأسباب والتعلق بها.....15

رابعاً: ثمرة الإيمان باسم الله الرزاق.....16

هدايات الرزق.....17

خاتمة الفصل.....18

الفصل الثاني :الرزق في المشهد الكوني.....19

تمهيد.....19

أولًا: السماء... بداية رحلة الرزق.....21

ثانيًا: الأرض... المائدة التي بسطها الله لعباده.....22

ثالثًا: البحر... خزائن لا تنفد.....23

رابعًا: الطير... درس يومي في التوكل.....24

خامسًا: النحل... حين يكون الإلهام رزقًا.....25

سادسًا: الليل والنهار... دورة الرزق.....26

سابعًا: الإنسان نفسه... آية في الرزق.....27

هدايات الرزق.....28

خاتمة الفصل.....29

الفصل الثالث :سنن الرزق في القرآن الكريم.....30

تمهيد.....30

السنة الأولى :الرزق مقدَّر قبل أن يُخلق الإنسان.....31

السنة الثانية :الرزق مقسوم لا يشبه قسمة البشر.....32

السنة الثالثة :البسط والتقدير كلاهما رحمة.....33

السنة الرابعة :الرزق ابتلاء لا علامة رضا.....34

السنة الخامسة :السعي فريضة... والتوكل عبادة.....35

السنة السادسة :البركة خير من كثرة المال.....36

السنة السابعة: الرزق قد يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان.....36

السنة الثامنة :الشكر يجلب الزيادة.....37

وقفة تأمل.....38

هدايات الرزق.....38

خاتمة الفصل.....40

الفصل الرابع: من أسباب الرزق.....41

مفاتيح الرزق في القرآن والسنة.....41

تمهيد.....41

أولًا: التقوى... مفتاح الخيرات 42
ثانيًا: الاستغفار... باب من أبواب السماء 43
ثالثًا: التوكل... عبودية القلب 44
رابعًا: الدعاء... مفتاح خزائن السماء 44
خامسًا: السعي والعمل والكسب الحلال 45
سادسًا: صلة الرحم 46
سابعًا: الإنفاق والصدقة 47
ثامنًا: الشكر 48
تاسعًا: الهجرة في سبيل الله 48
عاشرًا: الإحسان إلى الخلق 49
الحادي عشر: الحج والعمرة 50
الثاني عشر: الأمانة والصدق 50
الثالث عشر: الصلاة وأمر الأهل بها 51
الرابع عشر: التسبيح والذكر من أسباب الرزق 51
الخامس عشر: الزواج من أسباب الرزق 52
السادس عشر: الأولاد من أسباب سعة الرزق 52
هدايات الرزق 53
خاتمة الفصل 54
الفصل الخامس: موانع الرزق ومحق البركة 55
تمهيد 55
أولًا: المعاصي... أعظم أسباب ضيق الرزق 56
ثانيًا: الربا حرب مع الله 56
ثالثًا: أكل الحرام 57
رابعًا: الغش والخيانة 58
خامسًا: البخل ومنع حق الله 58
سادسًا: الظلم 59
سابعًا: قطع الرحم 59
ثامنًا: الكبر ونسبة النعمة إلى النفس 60
تاسعاً: التعلق بالدنيا 60
وقفة إيمانية 61
هدايات الرزق 62
خاتمة الفصل 63
الفصل السادس :الرزق في مدرسة الأنبياء 64
تمهيد 64
أولًا: آدم عليه السلام 65
هدايات الرزق 65
ثانيًا: هاجر وإسماعيل 66

هدايات الرزق.....67
ثالثًا: مريم عليها السلام.....68
هدايات الرزق.....68
رابعًا: موسى عليه السلام.....69
هدايات الرزق.....70
خامسًا: يوسف عليه السلام.....71
هدايات الرزق.....72
سادسًا: داود عليه السلام.....73
هدايات الرزق.....74
سابعًا: سليمان عليه السلام.....75
هدايات الرزق.....76
ثامناً: أيوب عليه السلام.....76
هدايات الرزق.....77
تاسعًا: زكريا عليه السلام.....78
هدايات الرزق.....79
خاتمة الفصل.....80
الفصل السابع :الرزق في هدي النبي ﷺ.....82
تمهيد.....82
أولًا: النبي ﷺ راعي الغنم الذي ربّى العالم.....83
هدايات الرزق.....83
ثانيًا: التاجر الأمين.....84
هدايات الرزق.....84
ثالثًا: الزهد مع القدرة.....84
هدايات الرزق.....85
رابعًا: التوكل الذي يصنع القوة.....85
هدايات الرزق.....86
خامسًا: العطاء الذي لا يخشى الفقر.....86
هدايات الرزق.....87
وقفة إيمانية.....88
خاتمة الفصل.....89
الفصل الثامن: الرزق في حياة الصحابة والسلف الصالح.....90
تمهيد.....90
أولًا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.....91
هدايات الرزق.....92
ثانيًا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.....93

هدايات الرزق..... 93
ثالثًا: عثمان بن عفان رضي الله عنه 94
هدايات الرزق..... 95
رابعًا: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه..... 95
هدايات الرزق..... 96
خامسًا: أبو هريرة رضي الله عنه..... 96
هدايات الرزق..... 97
سادسًا: عمر بن عبد العزيز رحمه الله 98
هدايات الرزق..... 99
سابعًا: الإمام أبو حنيفة رحمه الله 100
هدايات الرزق..... 101
ثامنًا: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله..... 101
هدايات الرزق..... 102
تاسعًا: الإمام ابن تيمية رحمه الله..... 102
هدايات الرزق:..... 103
عاشرًا: الإمام ابن القيم رحمه الله 104
هدايات الرزق:..... 104
وقفة تأمل 105
خاتمة الفصل..... 106
الفصل التاسع: البركة في الرزق..... 107
تمهيد..... 107
أولًا: ما معنى البركة؟ 108
ثانيًا: البركة هبة من الله..... 108
ثالثًا: في أي شيء تكون البركة..... 109
أ. في الوقت 109
ب. البركة في المال 110
ج. البركة في الأهل والذرية..... 110
د. البركة في العلم 111
رابعًا وخامساً: أسباب نزول البركة، وموانع نزولها..... 111
وقفة إيمانية 112
هدايات الرزق..... 112
خاتمة الفصل..... 113
الفصل العاشر :قواعد الرزق في واقع المسلم المعاصر 114
تمهيد..... 114
أولًا: العمل عبادة مهما اختلفت صوره..... 115
ثانيًا: البطالة ليست قدرًا يُستسلم له..... 116
ثالثًا: التجارة في العصر الحديث..... 116

رابعًا: الوظيفة والأمانة 117
خامسًا: الاستثمار بين الطموح والضوابط 118
سادسًا: الديون بين الحاجة والخطر 118
سابعًا: الرزق في عصر التقنية والذكاء الاصطناعي 119
ثامنًا: لا تجعل المقارنة تسرق رزق قلبك 120
تاسعًا: النجاح الحقيقي 120
عاشرًا: المسلم صانع للرزق لا مستهلك فقط 121
هدايات الرزق 122
خاتمة الفصل 123
الفصل الحادي عشر: فقه الرضا والقناعة وحسن الظن بالله 124
تمهيد 124
أولًا: الرضا عبادة قلبية 125
ثانيًا: القناعة... كنز القلب 125
ثالثًا: حسن الظن بالله 126
رابعًا: لا تحزن على ما فات 127
خامسًا: ولا تفرح بما آتاك 128
سادسًا: بين الطموح والرضا 128
سابعًا: الغنى الحقيقي 129
ثامنًا: ثمرة الرضا 129
تاسعًا: أعظم الرزق 130
وقفة إيمانية 131
استراحة شعرية 132
هدايات الرزق 133
خاتمة الفصل 134
الفصل الثاني عشر :الرزق في ميزان الآخرة 135
تمهيد 135
أولًا: الدنيا مزرعة وليست دار إقامة 136
ثانيًا: المال الحقيقي هو ما قدمته لله 137
ثالثًا: التجارة التي لا تبور 137
رابعًا: أعظم الخسارة 138
خامسًا: الجنة... أعظم رزق 138
سادسًا: النظر إلى وجه الله 138
سابعًا: حين تتغير الموازين 139
ثامنًا: ميراث الإنسان الحقيقي 139
تاسعًا: أعظم الأغنياء 140
عاشرًا: دعوة إلى مراجعة الحياة 140
وقفة إيمانية 141

ومن الشعر حكمة..... 142
هدايات الرزق..... 142
خاتمة الفصل..... 143
الفصل الثالث عشر: وصايا عملية في طلب الرزق..... 144
الوصية الأولى..... 145
الوصية الثانية..... 145
الوصية الثالثة..... 146
الوصية الرابعة..... 146
الوصية الخامسة..... 147
الوصية السادسة..... 147
الوصية السابعة..... 147
الوصية الثامنة..... 148
الوصية التاسعة..... 148
الوصية العاشرة..... 149
ميثاق الرزق..... 150
الكلمة الأخيرة..... 151
المراجع..... 153

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، يقسم الأرزاق بحكمته، ويبسطها ويقدرها بعدله ورحمته، والصلاة والسلام على نبينا محمد، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن الرزق ليس مالًا فحسب، بل هو كل نعمةٍ يتفضل الله بها على عباده؛ من الإيمان، والعلم، والصحة، والأمن، والرضا، والقناعة، وسائر ما تقوم به حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وقد جاء هذا الكتاب ليقرب للقارئ هدايات القرآن الكريم والسنة النبوية في باب الرزق، فيصحح المفاهيم، ويقوي اليقين بالله، في ثلاثة عشر فصلًا تبدأ باسم الله **الرزاق**، ثم تنتقل إلى مشاهد الرزق في الكون، وسننه في القرآن، وأسبابه، وموانعه، ونماذجه في حياة الأنبياء، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرة الصحابة والسلف، وتعيش مع البركة في الرزق، ثم تقف مع واقع المسلم المعاصر، لتنتهي بأعظم الرزق وأبقى العطاء: رزق الآخرة الذي لا ينفد ولا يزول.

وختمت تلك الرحلة بوصايا عملية وميثاق طلب الرزق؛ ليعرف المسلم كيف يتعامل مع رزقه كسباً وإنفاقاً.

وسميت هذا الكتاب (الرزق... رحلة يقين)؛ لأن الرزق الحقيقي لا يبدأ بما تكسبه اليد، بل بما يستقر في القلب.

فإذا امتلأ القلب يقينًا بالله، هان عليه ما فاته من الدنيا، وشكر ما أُعطي منها، وسعى سعيًا جميلًا.

أسأل الله سبحانه، الرزاق ذا القوة المتين، أن يجعل هذه الرحلة سببًا في زيادة الإيمان، وتصحيح المفاهيم، وإحياء معاني التوكل والرضا والقناعة، وأن يرزقنا جميعًا رزقًا طيبًا مباركًا، ويملأ قلوبنا يقينًا ورضًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول :اسم الله الرزاق وأثر الإيمان باسم الله الرزاق في بناء النفس والحياة

تمهيد

هناك آيات إذا استقرت في القلب، غيَّرت حياة الإنسان كلها. ومن هذه أعظمها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58].

آية قصيرة في ألفاظها، عظيمة في معانيها، تهدم أصنامًا خفيةً تتسلل إلى النفوس، وتقيم مكانها صرحًا شامخًا من اليقين. فكم من إنسان يقرأ هذه الآية كلما مر بها، ثم إذا خرج إلى سوقه، أو مكتبه، أو متجره، أو مزرعته، نسيها عمليًا، وأصبح قلبه معلقًا بالأرزاق أكثر من تعلقه بالرزاق سبحانه.

ولهذا كان أول ما ينبغي أن تبدأ به رحلة الحديث عن الرزق هو معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته؛ لأن من عرف الرزاق، هان عليه الخوف من الفقر، واطمأن قلبه عند الشدة، وشكر عند السعة، وصبر عند الضيق، وعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه.

أولًا: اسم الله الرزاق

ورد هذا الاسم العظيم مرةً واحدةً في القرآن الكريم، لكنه جاء في موضع يجمع بين الرزق والقدرة والقوة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58].

وليس في القرآن لفظ جاء عبثًا. فلم يقل: إن الله رازق، وإنما قال: الرزاق.

وقد بيَّن أهل اللغة أن صيغة فعَّال تدل على كثرة الفعل ودوامه وشموله.[1]

فهو سبحانه يرزق الخلق جميعًا، لا يختص برزقه مؤمنًا دون كافر، ولا إنسانًا دون حيوان، ولا كبيرًا دون صغير.

يرزق من أطاعه ومن عصاه، ومن عرفه ومن جحده، ومن سأله ومن غفل عنه.

ويرزق أهل السماء كما يرزق أهل الأرض، ويرزق الطير في أوكارها، والحيتان في لجج البحار، والنمل في جحوره، والجنين في ظلمات الرحم.

فالله هو الرزاق ولا رازق سواه، حقيقة مؤكدة لا شك فيها، وتأمل معي الآية مرة أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾.

اجتمعت فيها ثلاث مؤكدات:

إنَّ، ثم الضمير هو، ثم تعريف الاسم الرزاق.

---

[1] تفسير السمعاني.

وكأن الآية تقول: لا رازق على الحقيقة إلا الله، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاطر 2.

ثانيًا: الرزق من مقتضيات الربوبية

من أعظم القضايا التي يقررها القرآن أن الرزق مرتبط بربوبية الله.

فالذي خلق، هو الذي تكفل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فاطر 3.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ(6) ﴾ هود 6.

فتدبر هذا التعبير العجيب: **على الله**، أي تفضلًا ووعدًا منه سبحانه، لا إيجابًا عليه، فهو الغني عن خلقه، ولكن من تمام كرمه أنه تكفل بأرزاقهم.

قال الإمام ابن كثير عند هذه الآية:(أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريها، وبريها، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها أي: يعلم أين منتهى سيرها في الأرض، وأين تأوي إليه من وكرها، وهو مستودعها).[2]

ومن هنا كان القلق على الرزق ـ إذا تحول إلى سوء ظن بالله ـ خللًا في التوكل، وإن كان السعي في طلب الرزق عبادةً مأمورًا بها.

[2] تفسير ابن كثير

ثالثًا: بين الأخذ بالأسباب والتعلق بها

قال رجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أُرسِلُ ناقتي وأتوكَّلُ؟ قال: "اعقِلْها وتوكَّلْ"[3]

لقد وقع الناس في طرفين:

فريق ظن أن التوكل تركٌ للعمل، فجلس ينتظر الرزق.

وفريق ظن أن الأسباب هي التي تخلق الرزق، فتعلق قلبه بها.

والهدي القرآني وسط بين الطرفين.

فالقرآن يأمر بالسعي: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك 15.

فبدأ بالمشي، ثم نسب الرزق إليه سبحانه. وأمر بالانتشار بعد الصلاة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الجمعة 10.

وفي زماننا قد يظن بعض الناس أن الراتب هو مصدر الرزق، أو أن الشركة هي التي تعطي، أو أن المدير يملك المنع والعطاء، حتى إذا فقد وظيفته شعر أن أبواب السماء قد أغلقت، ولو استقر في قلبه أن الله هو الرزاق، لعلم أن ذهاب سبب لا يعني ذهاب الرزق.

[3] صحيح ابن حبان

رابعاً: ثمرة الإيمان باسم الله الرزاق

إذا استقر هذا الاسم في القلب، مات فيه الخوف من المخلوق.

فلا ينافق من أجل وظيفة، ولا يبيع دينه من أجل تجارة.

ولا يتذلل لصاحب سلطان طمعًا في عطية، ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

ويعلم علم اليقين أن خزائن الله لا تنفد، وأن ما عند الناس ينفد.

شكى رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله، فقال له إبراهيم: (يا أخي، انظر كل من في منزلك ليس رزقه على الله فحوله إلى منزلي)، فسكت الرجل.[4]

لله درك يا إبراهيم! ما أقواها من كلمة تغرس اليقين وتوقظ الغافلين.

وقد كان نبينا ﷺ يغرس اليقين في قلوب أصحابه منذ نعومة أظفارهم، فقال لابن عباس: «يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ."[5]

فيا لها من عقيدة تحرر الإنسان من الخوف، وتملأ قلبه عزًّا وثقةً وطمأنينة.

---

4 حياة السلف بين القول والعمل لأحمد الطيار.

5 الترمذي.

هدايات الرزق

- اليقين بأن الله وحده هو الرزاق يحرر القلب من التعلق بالمخلوقين، ويملؤه ثقة وطمأنينة.
- من عرف ربه باسم **الرزاق** أحسن الظن به، ولم ييأس عند ضيق الرزق، ولم يغتر عند سعته .
- استحضار اسم الله الرزاق يورث القناعة، ويذهب الحسد، ويخفف القلق على المستقبل .
- أعظم الرزق هو معرفة الله والإيمان به؛ فمن رُزق اليقين بالله فقد نال أصل كل خير.

خاتمة الفصل

إن الإيمان باسم الله الرزاق ليس مجرد معرفةٍ تزداد بها المعلومات، بل هو يقينٌ يغيّر نظرة المؤمن إلى الحياة كلها.

فمن أيقن أن الله هو الرزاق وحده، اطمأن قلبه، وسكنت نفسه، وانقطع تعلقه بالمخلوقين، وأقبل على ربه ثقةً وتوكلًا وحسن ظن.

وحين يستقر هذا الإيمان في القلب، يصبح السعي إلى الرزق عبادة، والعمل أمانة، مع يقينٍ جازم بأن العطاء والمنع، والسعة والضيق، كلها بيد الله الحكيم الرحيم. فلا يطغيه الغنى، ولا يقنطه الفقر، بل يبقى قلبه معلقًا بربه في جميع أحواله.

وهذا هو الأساس الذي تُبنى عليه بقية مباحث هذا الكتاب؛ فكل حديث عن الرزق، وأسبابه، وموانعه، وبركته، لا يؤتي ثماره إلا إذا انطلق من الإيمان العميق بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

الفصل الثاني :الرزق في المشهد الكوني

حين يتحول الكون كله إلى درس في الرزق

تمهيد

إذا أراد البشر أن يتحدثوا عن الرزق، اتجهت أنظارهم إلى الوظائف، والأسواق، والمصانع، والمزارع، والموانئ، والبنوك، وأرقام التجارة، وحركة الاقتصاد.

أما القرآن، فإنه يأخذ بيد الإنسان إلى مكان آخر.

يرفع بصره إلى السماء، ويبسط نظره في الأرض، ويوقفه أمام السحاب، ويطلق بصره مع الطير، ويغوص به في أعماق البحر، ثم يقول له: انظر... من أين يبدأ الرزق؟

إن الرزق لا يبدأ من السوق، بل يبدأ من السماء.

ولذلك لم يكن عجيبًا أن يقول الله سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات 22.

ليعلِّم القلوب أن الأرزاق قبل أن تُرى في الأرض، قد قُدِّرت عند الله، وأن السماء التي ينظر إليها الناس كل يوم ليست سقفًا مرفوعًا فحسب، بل هي مبدأ كثير من أسباب

الحياة؛ منها ينزل المطر، وبأمر ربها تجري الرياح، ومنها تتنزل البركات، وإليها تُرفع الأعمال والدعوات.

فالقرآن حين يربط الرزق بالسماء لا يريد أن يصرف الإنسان عن العمل في الأرض، وإنما يريد أن يصرف قلبه إلى الرزاق ذي القوة المتين.

أولًا: السماء... بداية رحلة الرزق

حين يذكر القرآن المطر لا يذكره بوصفه ظاهرة طبيعية مجردة، بل نعمة من نعم الله على خلقه، وآية من آيات ربوبيته.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ إبراهيم 32. وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ (9)وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (10)رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ (11)﴾ سورة ق.

تأمل كيف يربط القرآن بين الماء والرزق.

قطرة ماء تهبط من السماء، ثم تتحول سنابل، وأشجارًا، وثمارًا، وأقواتًا للناس والأنعام.

ولو شاء الله لحبس المطر،

أو أنزله مالحًا، أو جعله سيولًا مدمرة، ولكنه سبحانه ينزله بقدر، ويصرفه بحكمة، ويجعله مباركًا.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ (68)ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (69)لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70)﴾ الواقعة.

إنها دعوة إلى شكر المنعم قبل الانتفاع بالنعمة.

ثانيًا: الأرض... المائدة التي بسطها الله لعباده

بعد نزول المطر، تستيقظ الأرض من سباتها قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الروم 50.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ الحج 5.

ويقول جل جلاله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت 39.

ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (24)أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (25)ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (26)فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28)وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29)وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (30)وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (31)مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (32)﴾ عبس.

يا لها من رحلة مدهشة!

المطر ينزل...والأرض تنشق...

والبذرة تنبت...والسنبلة تمتلئ...

ثم يجلس الإنسان إلى مائدته، وربما لم يخطر بباله كم يد بتدبير الله عملت حتى وصلت إليه هذه اللقمة فوجب عليه شكر المنعم سبحانه الذي لولا ألطافه ورحماته لعجز عن جلب هذه اللقمة.

وفي الحديث الصحيح"إنَّ اللهَ لَيَرضى عَنِ العَبدِ أن يَأكُلَ الأَكلةَ فيَحمَدَه عليها، أو يَشرَبَ الشَّربةَ فيَحمَدَه عليها."[6]

ويوم القيامة ستتكون مثل هذه النعم البسيطة محطات أسئلة يمتحن فيه العبد بين يدي المنعم العظيم قال الله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ **التكاثر.**

قال ﷺ:" إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القِيامةِ أنْ يُقالَ له :ألَمْ أُصِحَّ لكَ جِسْمَكَ، وأرْوِكَ مِن الماءِ البارِدِ"[7].

ثالثًا: البحر... خزائن لا تنفد

إن البحر مدرسة في معرفة سعة فضل الله؛ فما خفي في أعماقه أكثر مما ظهر على سطحه، ومازال ما اكتشفه الإنسان من كنوز البحر قليلًا أمام خزائن الله التي لا تنفد.

وحين يخرج القرآن بالإنسان إلى البحر، لا يراه مجرد ماء عظيم، بل يراه مائدة أخرى من موائد الرزق قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل 14.

فانظر كيف جمع الله في آية واحدة بين الطعام، والزينة، والتجارة، والملاحة.

ذلك كله من فضل الله؛ لنكون من الشاكرين.

---

6 مسلم.
7 المستدرك على الصحيحين.

رابعًا: الطير... درس يومي في التوكل

الطير لا تملك مخازن، ولا حسابات، ولا تدخر قوت سنة كاملة، ومع ذلك لا تموت جوعًا.

لأنها من خلق الله وقد تكفل الله بحفظها وزرقها وهي تحت سمعه وبصره سبحانه قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ الملك 19.

وقال النبي ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا.»[8] .

فمن يرزق الطير لن ينسى من سخر الله ما في السماوات وما في الأرض.

ومما نسب للإمام الشافعي رحمه الله:

تَوَكَّلتُ في رِزقي عَلى اللهِ خالِقي

وَأَيقَنتُ أَنَّ اللهَ لا شَكَّ رازِقي

وَما يَكُ مِن رِزقي فَلَيسَ يَفوتَني

وَلَو كانَ في قاعِ البِحارِ العَوامِقِ[9].

[8] صحيح ابن حبان.
[9] مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي.

خامسًا: النحل... حين يكون الإلهام رزقًا

ومن أبدع مشاهد الرزق في القرآن مشهد النحل

فحين تسعى في رزقها تجلب رزقاً وشفاءً لبني الإنسان، فرحلتها مباركة؛ لأنها رحلة أساسها وحي الله. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)﴾ النحل.

تلك الحشرة الصغيرة التي تبني بيوتًا بديعة، وتسلك طرقًا دقيقة، ثم تخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه.

فمن الذي علمها؟ ومن الذي هداها؟ ومن الذي أخرج هذا الغذاء والدواء من جسدها؟

إنه الله.

وفي ذلك إشارة إلى أن الرزق لا يكون بالمال وحده، بل قد يكون بالعلم، أو بالإلهام، أو بالمهارة، أو بالفكرة التي يفتح الله بها على عبده.

كم من إنسانٍ تغيرت حياته كلها بفكرة ألهمه الله إياها في لحظة!

سادسًا: الليل والنهار... دورة الرزق

الليل والنهار من آيات الله الباهرة، فليس تعاقب الليل والنهار مجرد حركة كونية، بل هو جزء من نظام الرزق الذي أقامه الله لعباده. فالنهار ميدان السعي والعمل، والليل زمن السكون والراحة.

ولو استحال الليل نهارًا دائمًا، أو النهار ليلًا دائمًا، لاختلت حياة البشر، وتعطلت مصالحهم.

إن انتظام الزمن من أعظم نعم الله، ومن أجلِّ صور رزقه لعباده.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9)وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا (10)وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا (11)﴾ النبأ.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71)قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73) ﴾ القصص.

قال السعدي في تفسيره :(هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب

أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده).[10]

سابعًا: الإنسان نفسه... آية في الرزق

ثم يعود القرآن بالإنسان إلى نفسه.

إلى جسده.

إلى قلبه.

إلى دمه.

إلى أنفاسه.

من الذي يرزق الخلية غذاءها؟ ومن الذي يجري الدم في العروق؟

ومن الذي يحفظ نبض القلب ليلًا ونهارًا؟

إنها أرزاق لا يشعر بها الإنسان إلا إذا فقدها.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات 22.

فالصحة رزق، والعافية رزق، والسمع رزق، والبصر رزق، والعقل رزق،

وكل عضو في جسم الإنسان نعمة عظيمة.

[10] تفسير السعدي.

ومن تأمل جسده علم أنه يعيش كل لحظة على أرزاق لا يملك منها شيئًا؛ فنبضة قلبه ليست بيده، وأنفاسه ليست بيده، وعقله الذي يفكر به ليس بيده، فإذا كان هذا حاله مع رزقه الذي في داخله، فكيف يقلق على رزقه الذي خارج يده؟

ومن عرف قيمة هذه النعم، علم أن فضل الله عليه أعظم من أن يحصى، وأن المال ليس إلا جزءًا يسيرًا من رزق الله الواسع.

هدايات الرزق

- الكون كله شاهد على أن الله وحده هو الرزاق، وأن خزائن رزقه لا تنفد.
- التأمل في السماء والأرض والبحر وغيرها مخلوقات الله يزيد اليقين، ويقوي التوكل على الله.
- نعم الله في الكون تدعو إلى الشكر، فمن شكر المنعم زاده من فضله وبركته.
- من عرف رزق الله في آفاق الكون وفي نفسه، عاش مطمئنًا، وازداد يقينًا بأن رزقه بيد الله لا بيد أحد من خلقه.

خاتمة الفصل

أخي القارئ:

بعد هذه الجولة السريعة في السماء، والأرض، والبحر، والطير، والنحل، والليل، والنهار، والإنسان... يقف القلب خاشعًا أمام الحقيقة الكبرى:

أن الكون كله يعيش على مائدة الله.

وحين يستقر هذا اليقين في القلب، يزول خوفه من المستقبل، ويطمئن إلى وعد ربه، ويعلم أن الذي أدار هذا الكون العظيم بحكمته، لن يُضيع عبدًا أحسن التوكل عليه.

ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة من رحلة اليقين؛ فبعد أن عرفنا أن الرزق كله بيد الله، يحسن بنا أن نتعرف إلى السنن التي جعلها سبحانه تحكم نزول الأرزاق، حتى يجتمع في قلب المؤمن حسن التوكل، وصحة الفهم، وحكمة السعي.

الفصل الثالث :سنن الرزق في القرآن الكريم

الرزق بين القضاء الإلهي والسعي الإنساني

تمهيد

من تدبر القرآن الكريم وجد أن الرزق لا يسير في هذا الكون جزافًا، ولا يخضع للمصادفة، ولا تحكمه الفوضى، وإنما يجري وفق سننٍ ربانيةٍ ثابتةٍ لا تتخلف ولا تحابي أحدًا.

فكما جعل الله للشمس سننًا في طلوعها وغروبها، وللأرض سننًا في إنباتها، وللماء سننًا في جريانه، جعل للأرزاق سننًا تحكم نزولها، واتساعها، وضيقها، وبركتها، وزوالها.

ومن جهل هذه السنن عاش أسير القلق؛ يفرح إذا كثرت الدنيا بين يديه فرح المغتر، ويجزع إذا ضاقت عليه جزع اليائس.

أما من عرفها، فإنه يسعى مطمئنًا، ويعمل مجتهدًا، ويرضى بقضاء الله، ويوقن أن الرزق لا يخرج عن حكمة الله وعدله ورحمته.

وفي هذا الفصل نتأمل أبرز السنن التي قررها القرآن في باب الرزق، لتكون ميزانًا للمؤمن في نظرته إلى الدنيا.

السنة الأولى :الرزق مقدَّر قبل أن يُخلق الإنسان

من أعظم ما يطمئن القلب أن يعلم أن الرزق لم يُترك لاجتهاد الإنسان وحده، بل كُتب قبل أن يخرج إلى الدنيا.

قال رسول الله ﷺ:" إنَّ أحَدَكُم يُجمَعُ خَلقُه في بَطنِ أُمِّه أربعينَ يَومًا، ثُمَّ يكونُ علَقةً مِثلَ ذلك، ثُمَّ يكونُ مُضغةً مِثلَ ذلك، ثُمَّ يَبعَثُ اللهُ مَلَكًا فيُؤمَرُ بأربَعِ كَلِماتٍ، ويُقالُ له: اكتُبْ عَمَلَه، ورِزقَه، وأجَلَه، وشَقيٌّ أو سَعيدٌ، ثُمَّ يُنفَخُ فيه الرُّوحُ.."[11]

فالطفل الذي لم يخرج إلى الدنيا بعد، قد كتب الله رزقه.

والشيخ الذي أشرف على نهاية عمره، ما زال يأكل من رزق كتبه الله له قبل عشرات السنين.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ هود 6.

وهذا لا يدعو إلى الكسل، بل يحرر القلب من الخوف عند السعي لطلب الرزق، وفي الحديث " لا تستبطئوا الرِّزقَ فإنَّه لم يكُنْ عبدٌ يموتُ حتَّى يبلُغَه آخِرُ رزقٍ هو له فأجمِلوا في الطَّلبِ في الحلالِ وتَرْكِ الحرامِ"[12].

11 البخاري

12 صحيح ابن حبان.

السنة الثانية :الرزق مقسوم لا يشبه قسمة البشر

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الزخرف 32.

تأمل...

لم يقل سبحانه: أعطيناهم.

بل قال: قسمنا.

والقسمة لا تكون إلا بعلم، وعدل، وحكمة.

فالله لا يوزع الأرزاق عبثًا، ولا يفضل عبدًا على آخر بدون حكمة، وإنما يعلم ما يصلح كل إنسان.

فهذا يصلحه الغنى، وذاك يصلحه الفقر.

وهذا يفتح له باب العلم، وذاك يفتح له باب التجارة.

وهذا يرزق ذرية صالحة، وآخر يرزق قبولًا بين الناس.

وقد يحرم الإنسان مالًا كثيرًا، ويعوضه بصحة، أو علم، أو أمن، أو سكينة، وهي خير من المال مهما بلغ تعداده.

ولذلك لا يجوز أن يقيس الإنسان نفسه بغيره من خلال المال وحده، لأن المقارنة تكون ناقصة ما دام لا يرى بقية الأرزاق التي أنعم الله بها عليه.

السنة الثالثة :البسط والتقدير كلاهما رحمة

قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الشورى 12.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ الشورى 27.

من الناس من لا يصلحه إلا الغنى، ولو افتقر لفسد دينه.

ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه الله لطغى وتجبر.

ورب عبدٍ يبكي لأن بابًا من أبواب الدنيا أُغلق في وجهه، ولو كُشف له الغيب لحمد الله ألف مرة على ذلك المنع، وفي الحديث" إنَّ اللهَ لَيَحْمي عَبدَه المُؤمِنَ مِن الدُّنيا، وهو يُحِبُّه كما تَحْمون مَريضَكُم مِن الطَّعامِ والشَّرابِ تَخافونه عليه".[13]

وفي كل حال فالمؤمن كل أمره له خير قال النبي عليه الصلاة والسلام: " عَجَبًا لأمرِ المُؤمِنِ، إنَّ أمرَه كُلَّه خَيرٌ، وليسَ ذاك لأحَدٍ إلَّا للمُؤمِنِ، إن أصابَتْه سَرَّاءُ شَكَرَ فكانَ خَيرًا له، وإن أصابَتْه ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيرًا له"[14].

وقال أيضا " اثنتان يكرههما ابنُ آدمَ :يكرهُ الموتَ، والموتُ خيرٌ له من الفتنةِ، ويكرهُ قلَّةَ المالِ، وقِلَّةُ المالِ أقلُّ للحسابِ"[15].

---

13 أحمد

14 مسلم.

15 صحيح الجامع.

السنة الرابعة :الرزق ابتلاء لا علامة رضا

وهذه من أعظم السنن التي يقررها القرآن. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ (15)وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ (16) كَلَّاۖ﴾ الفجر.

يا لها من كلمة عظيمة!

﴿كَلَّا﴾.

أي ليس الغنى دليل الكرامة، وليس الفقر دليل الإهانة.

بل قد يكون الغنى استدراجًا، وقد يكون الفقر رحمة، وقد يكون كلاهما طريقًا إلى الجنة.

واسمع بقلبك هذه الأيات: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ (35)قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (36)وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ (37)وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ (38)قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (39) ﴾ سبأ.

ولو كان المال دليلًا على محبة الله، لما كان أكثر أهل الجنة من الفقراء، ولما ابتُلي الأنبياء وهم صفوة الخلق.

السنة الخامسة :السعي فريضة... والتوكل عبادة

لم يجعل القرآن الرزق ثمرة للأماني، بل أمر بالسعي والعمل.

قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ الملك 12.

وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الجمعة11.

وقال النبي ﷺ عن الطير: "تغدو خماصًا وتروح بطانًا"[16].

إن الإسلام لا يقر البطالة، ولا الاتكال.

ولا يسوغ الكسل باسم الزهد، بل يجعل اليد العاملة أحب إلى الله من اليد السائلة.

وقد قال ﷺ:" لأن يأخذَ أحدُكُم أحبلَهُ، فيأتيَ الجبلَ، فيجئُ بحزمةِ حطبٍ على ظَهْرِهِ فيبيعَها، فيستغنيَ بثَمَنِها، خيرٌ لَهُ من أن يسألَ النَّاسَ، أعطوهُ أو منعوهُ"[17].

ولهذا يجمع المؤمن بين أمرين لا ينفصلان:

كمال السعي... وكمال التوكل.

فمن ترك السعي فقد خالف الشرع.

ومن اعتمد على السعي ونسي الله فقد أفسد التوحيد.

---

[16] صحيح ابن حبان.
[17] صحيح ابن ماجه.

السنة السادسة :البركة خير من كثرة المال

كم من إنسان يملك الملايين، ولا يجد راحة.

وكم من أسرة لا تملك إلا القليل، ولكنها تعيش في سعادة وطمأنينة.

ولهذا قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة: 276. فأموال المرابين كثيرة لكنها ممحوقة البركة والنفع، بينما أموال المنفقين يراها الناس تقل وهي تربو ويزيد نفعها برعاية الله.

فالمسألة ليست زيادة الأرقام، بل زيادة نفعها.

والبركة سر من أسرار الله، يكرم الله بها من يشاء من عباده.

السنة السابعة: الرزق قد يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان

من أكثر الآيات بثًّا للأمل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (2) وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا (3)﴾ الطلاق.

لم يقل: من حيث يحتسب، بل قال: ﴿لَا يَحۡتَسِبُ﴾.

وهذه سنة تتكرر في القرآن.

رزق مريم في المحراب.

وفرج موسى في مدين.

وتمكين يوسف بعد السجن.

وزمزم لهاجر في صحراء لا زرع فيها.

كلها شواهد على أن الله إذا أراد فتح بابًا لا يخطر على بال أحد.

السنة الثامنة :الشكر يجلب الزيادة

من شكر النعمة فقد حفظها ونماها، ومن كفرها فقد عرّضها للزوال.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم 7.

وهذه الزيادة لا تقتصر على المال، بل تشمل حسن التصرف فيه، والعافية والذرية، والسكينة

والقبول....

وقفة تأمل

تأمل هذه السنن كلها...

الرزق مكتوب...ومقسوم...

ويزيد بالشكر...ويبارك بالطاعة...

ويأتي بالسعي...ويفتح بالتقوى...

وليس دليل رضا ولا غضب...

ولا يأتي قبل أوانه، ولا يتأخر عن وقته.

فأي قلب يؤمن بهذه الحقائق ثم يبقى أسير القلق!

هدايات الرزق

- الرزق مقدر عند الله، والسعي إليه عبادة.
- تفاوت الأرزاق حكمة إلهية، فلا يقاس فضل الله بالمال وحده.
- الغنى والفقر كلاهما ابتلاء، والعبرة بحسن الشكر عند السعة، والصبر عند الضيق.
- من أحسن التوكل، ولزم التقوى، وأكثر الشكر، أتاه رزق الله من حيث لا يحتسب.

تذكر

السنة	خلاصة المعنى
الرزق مقدر	يورث الطمأنينة
الرزق مقسوم	يورث الرضا
البسط والتقدير رحمة	يمنع الاعتراض
الرزق ابتلاء	يصحح الميزان
السعي فريضة	يمنع الكسل
البركة لا الكثرة	يغير مفهوم الغنى
الرزق يأتي من حيث لا يحتسب	يقوي حسن الظن
الشكر	يحفظ النعمة ويزيدها

خاتمة الفصل

بعد التأمل في هذه السنن الربانية، يدرك المؤمن أن الرزق ليس لعبة حظ، ولا نتيجة ذكاء مجرد، ولا ثمرة أسباب مستقلة، وإنما هو قضاء الله الذي يجري وفق حكمته، ويأمر عباده أن يسعوا إليه بالطرق المشروعة.

فإذا فهم هذه السنن، عاش مطمئن القلب، بعيدًا عن الحسد، متحررًا من القلق، عاملًا بجد، راضيًا بقضاء الله، حسن الظن بربه.

ومن هنا ننتقل إلى السؤال الذي يشغل كل مسلم:

ما الأسباب التي جعلها الله مفاتيح لجلب الرزق وزيادة بركته؟

وهذا ما سنتناوله في الفصل القادم بإذن الله.

الفصل الرابع: من أسباب الرزق

مفاتيح الرزق في القرآن والسنة

تمهيد

بعد أن عرفنا أن الرزق بيد الله وحده، وأنه يجري وفق سنن ربانية محكمة، يبقى سؤال يطرحه كل مؤمن:

ما الأسباب التي جعلها الله مفاتيح للأرزاق؟

والجواب:

أن الله سبحانه لم يأمر عباده بالانتظار، وإنما أمرهم بالسعي، وربط بين الطاعة والتوفيق في السعي، وبين الإيمان والزيادة، وبين حسن المعاملة ودوام النعمة.

وهذه الأسباب ليست قوانين مادية جامدة، بل هي عبادات وقربات قبل أن تكون وسائل لتحصيل الرزق؛ فمن جعل همه الله، فتح له من أبواب فضله ما لا يخطر له على بال.

أولًا: التقوى... مفتاح الخيرات

لم يربط القرآن الرزق بسبب كما ربطه بالتقوى.

قال تعالى: وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا (2)وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا (3) الطلاق.

وهذه الآية من أعظم آيات الرجاء.

فقد جمع الله فيها بين أمرين:

المخرج من الشدة.

والرزق من غير الطريق المتوقع.

والتقوى ليست كلمة تقال، وإنما هي حياة كاملة؛ مراقبة لله، وصدق في المعاملة، وأداء للأمانة، وترك للمحرمات، وخوف من الوقوف بين يدي الله.

ومن اتقى الله في أمره، جعل الله له من كل ضيق فرجًا، ومن كل هم مخرجًا.

ولهذا كانت التقوى أول أسباب الرزق وأعلاها.

ثانيًا: الاستغفار... باب من أبواب السماء

من أبدع ما يصوره القرآن ربط الاستغفار ببركات الدنيا والآخرة.

قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (10)يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11)وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (12)﴾ نوح.

إن الاستغفار لا يقتصر أثره على محو الذنوب، بل يفتح أبواب البركات.

وما أجمل ما روي عن الحسن البصري رحمه الله، حين جاءه رجل يشكو الجدب، فقال: استغفر الله.

وجاءه آخر يشكو الفقر، فقال: استغفر الله.

وجاءه ثالث يشكو قلة الولد، فقال: استغفر الله.

فلما سُئل عن ذلك، تلا هذه الآيات.[18]

وقد روي:" مَن لزِمَ الاستِغفارَ جعلَ اللَّهُ لَهُ مِن كلِّ همٍّ فرجًا، ومِن كلِّ ضيقٍ مَخرجًا، ورَزقَهُ مِن حيثُ لا يحتَسبُ"[19]

وليس المقصود أن الاستغفار كلمة ترددها الألسن مع الإصرار على الذنوب، وإنما هو توبة صادقة، وعودة إلى الله.

---

18 البركة في الرزق لعبدالله السوالمة.
19 ابن ماجه

ثالثًا: التوكل... عبودية القلب

التوكل ليس كلمة، بل مقام من مقامات الإيمان، ولازم من لوازمه.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ المائدة 23.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ﴾ الطلاق: 3.

والتوكل في طلب الرزق راحة معجلة في الدنيا؛ إذ أنعم العيش عيش المتوكلين.

قال عامر بن عبد قيس لابنيْ عمٍ له: فوضا أمركما إلى الله؛ تستريحا [20]

وذلك أن القلب إذا اعتقد اختصاص الله بالرزق وانتفاءه مما عداه، وأن الله أقرب من دُعي، وأجود من سُئل، وأجزل من أعطى، وأقدر من ملك - استسلم له، وانقطع رجاؤه فيما عداه، وطفق يلتمس الأسباب بطمأنينة ويقينٍ؛ ذلك أن السبب لا يستقل بالأثر إلا إن شاء الله ذلك.

رابعًا: الدعاء... مفتاح خزائن السماء

من أعظم أسباب الرزق أن يرفع العبد يديه إلى ربه.

لقد أمرنا الله تعالى بدعائه ووعدنا بالإجابة ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر60.، بل إن من تمامِ جودِهِ وكرَمِه، وكمالِ غناه وقيُّوميَّته، أنه تعالى يعرِضُ على عبادِه مسألتَه وطلبَه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة 186.

[20] المصنف لابن أبي شيبة.

وفي الحديث "ينزلُ ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدُّنيا حينَ يبقى ثلُثُ الليلِ الآخرُ، فيقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيَه؟ من يستغفرُني فأغفرَ له؟"[21]

وفي الحديث القدسي:" يا عبادي، كُلُّكُم جائِعٌ إلَّا مَن أطعَمتُه، فاستَطعِموني أُطعِمكُم، يا عِبادي، كُلُّكُم عارٍ إلَّا مَن كَسَوتُه، فاستكسوني أكسُكُم"، " يا عِبادي، لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم قاموا في صَعيدٍ واحِدٍ فسَألوني، فأعطَيتُ كُلَّ إنسانٍ مَسألَتَه، ما نَقَصَ ذلك ممَّا عِندي إلَّا كما يَنقُصُ المِخيَطُ إذا أُدخِلَ البَحرَ".[22]

ففضل الله عظيم وخزائنه لا تنفد، وله ما في السماوات وما في الأرض.

وكان النبي ﷺ يدعو ربه: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك"[23] وكان يقول: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا"[24].

خامسًا: السعي والعمل والكسب الحلال

جعل الإسلام العمل عبادة، وكان أنبياء الله يعملون.

فهذا نوح نجار.

وداود حداد.

وموسى راعٍ.

---

21 البخاري ومسلم.
22 مسلم.
23 أحمد والترمذي.
24 أحمد وابن ماجه.

ونبينا محمد ﷺ رعى الغنم، ثم اتجر.

وقال الله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ الملك 12.

وقال ﷺ: "ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده"[25].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.[26]

سادسًا: صلة الرحم

من السنن التي قد يغفل عنها الناس أن صلة الرحم من أسباب سعة الرزق

قال النبي ﷺ: "من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه."[27]

وعند الترمذي مرفوعاً: "تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ"[28]؛ .

وعن عائشة مرفوعاً: "صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار"[29]

فانظر، كيف جعل الإسلام الإحسان إلى الأقارب عبادة؛ لأنه يجمع بين الصدقة والصلة.

وكم من بيوت بورك في أرزاقها بسبب بر الوالدين، والإحسان إلى الأقربين.

---

25 البخاري.
26 العقد الفريد.
27 البخاري ومسلم..
28 صحيح الترغيب.
29 أحمد وصححه مقبل الوادعي في الصحيح المسند.

سابعًا: الإنفاق والصدقة

قد يظن الإنسان أن الصدقة تُنقص المال.

لكن القرآن يقلب هذا التصور.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سبأ39.

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ البقرة **261**.

وقال النبي ﷺ: " ما نَقَصَت صَدَقةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبدًا بعَفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَه اللهُ ".[30]

وليس المقصود أن يخلف الله المال دائمًا بمال مثله، بل قد يخلفه بالصحة، أو بالبركة، أو بدفع البلاء، وشفاء من مرض، أو بحسن الذرية.

وإنّ المُتصدّق لتدعو له الملائكة بالتعويض من الله تعالى، في الحديث"ما من يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلاّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلَفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ **ممسكاً تلفاً**"[31].

30 مسلم.
31 البخاري ومسلم..

ثامنًا: الشكر

خلق الله الإنسان ليبتليه أيشكر أم يكفر، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، وحث على الشكر وأمر به، ووعد الشاكرين بالعوض والنماء، فقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم 7.

والشكر يكون بالقلب اعترافًا، وباللسان ثناءً، وبالجوارح طاعةً.

وكل نعمة لا تُشكر، معرضة للزوال، روي عن عمر بن عبد العزيز قوله: قيدوا النعم بالشكر.[32]

يُرْوَى عن عليٍ، أنه قال لرجل من همدان: إن النِّعْمة مُوَصَّلَةٌ **بالشكر**، والشكر مُعَلَّقٌ بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن يَنْقَطع الْمزيدُ من اللَّه حتى ينقطع الشُّكْرُ من العبد.[33]

ويقول الحسن البصري: إن الله يمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا.[34]

تاسعًا: الهجرة في سبيل الله

ومن الأسباب التي قد يغفل عنها الناس أن من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء 100.

فكم من مهاجر خرج لا يملك شيئًا، ففتح الله عليه أبواب الخير.

---

32 الشكر لابن أبي الدنيا.
33 المصدر السابق.
34 المصدر السابق.

ولقد خرج النبي ﷺ من مكة مطاردًا، فعاد إليها فاتحًا، لا لأن الهجرة طريق إلى الغنى الدنيوي دائمًا، بل لأنها طريق إلى رضا الله، ومن رضي الله عنه، فتح له من الخير ما يشاء.

عاشرًا: الإحسان إلى الخلق

قال رسول الله ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟[35]

إن رحمة الفقراء، وكفالة الأيتام، والإحسان إلى الأرامل، ليست أعمالًا اجتماعية فحسب، بل هي من أسباب نزول رحمة الله وبركته.

فالراحمون يرحمهم الله، والناس عيال الله وأحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

وفي الحديث الصحيح "مَثَلُ المُؤمِنينَ في تَوادِّهم وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم مَثَلُ الجَسَدِ، إذا اشتَكى منه عُضوٌ تَداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى."[36]

فالسماء لا تمطر على الأقوياء وحدهم، وإنما يعم فضل الله الجميع، ويبارك للأمة إذا تراحم أبناؤها.

---

35 البخاري.
36 مسلم.

الحادي عشر: الحج والعمرة

ومن أسباب زيادة الرزق التي دل عليها هدي النبي ﷺ المداومة على الحج والعمرة لمن استطاع. قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.»[37]

والمقصود أن الطاعة سبب لزيادة الرزق، مع ما تناله النفس من تطهير، والقلب من حياة.

الثاني عشر: الأمانة والصدق

قد يربح الكاذب صفقة لكن الصادق يربح البركة.

قال رسول الله ﷺ: "البيعان بالخيار فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما".[38] ولهذا كانت البركة خير الأرباح.

فرب تجارة صغيرة عاش صاحبها بخيرها سنوات، ورب تجارة عظيمة ذهبت بركتها بسبب الغش أو الظلم.

---

37 أحمد وابن ماجه.
38 البخاري ومسلم..

الثالث عشر: الصلاة وأمر الأهل بها

الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي من أكبر الأرزاق، وجاء في القرآن ما يوحي بأنها سبب للرزق وبركته، قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ طه: 132.

ومن اتصل بربه فيكيف يخشى الرزق!

الرابع عشر: التسبيح والذكر من أسباب الرزق

التسبيح عبادة الخلق كلهم، وبها يرزقون، قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(44)﴾ الاسراء.

وقال رسول الله ﷺ: " إن نبي الله نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع، لو وضعن في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله، **وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء**"[39]

فأكثر من التسبيح يفتح الله لك من فضله ما تندهش من عطائه.

[39] الأدب المفرد للبخاري.

الخامس عشر: الزواج من أسباب الرزق

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 32. قال السعدي" وفيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر."[40]

وقال النبي ﷺ :"ثلاثة حق على الله عونهم: ... والناكح الذي يريد العفاف".[41] ومن صور العون تيسير تكاليف الزواج و زيادة الرزق وبركته.

السادس عشر: الأولاد من أسباب سعة الرزق

الأولاد رزق من الله، والله متكفل برزقهم، فلن يكونوا سببًا للفقر.

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾ الأنعام: **151**

وقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**﴾ الإسراء: 31

وكم رأينا من كثير عيالٍ قد وسع الله عليه، ورأينا من لا ولد له فقير معدم.

وقد يكون ولد بين كثير من إخوته سبب في غناهم أجمعين، في حين أنه كان أضعفهم قدرات وملكات.

فسبحان الرزاق الكريم.

---

40 تفسير السعدي.
41 مشكاة المصابيح للتبريزي.

هدايات الرزق

- الأخذ بالأسباب عبادة، والتوكل على الله أساس كل سبب.
- أعظم مفاتيح الرزق: التقوى، والصلاة، والاستغفار، والدعاء، والتسبيح مع صدق اللجوء إلى الله.
- الإحسان إلى الخلق، وصلة الرحم، والصدقة، والشكر، من أعظم أسباب زيادة الرزق وبركته.
- من جمع بين السعي المشروع، وصفاء التوحيد، وحسن التوكل، فتح الله له من فضله ورزقه من حيث لا يحتسب.

خاتمة الفصل

إن هذه الأسباب ليست قوانين مادية جامدة، بحيث يظن الإنسان أنه إذا فعل واحدًا منها وجب على الله أن يعطيه ما يريد، فالله سبحانه يفعل ما يشاء بحكمة وعدل.

وإنما هي أبواب فتحها لعباده، ووعدهم بالخير إذا أقبلوا عليه بقلوب صادقة، وأعمال مخلصة.

وقد تتأخر ثمرة السبب لحكمة يعلمها الله، وقد يعطي الله العبد خيرًا غير الذي طلبه، وقد يدخر له الجزاء في الآخرة، فهو سبحانه أعلم بمصالح عباده من أنفسهم.

ومن هنا يجتمع في قلب المؤمن أمران عظيمان:

يبذل الأسباب كلها، وكأنها كل شيء.

ويتعلق قلبه بالله وحده، وكأن الأسباب ليست بشيء.

وهذه هي حقيقة التوكل، وسر العبودية، ولبُّ الإيمان.

وفي الفصل القادم ننتقل إلى الوجه الآخر من القضية، فنقف مع موانع الرزق ومحق البركة، كما صورها القرآن والسنة، لنعلم أن للأرزاق أبوابًا تُفتح بالطاعة، كما أن لها أبوابًا تُغلق بالمعصية والظلم.

الفصل الخامس: موانع الرزق ومحق البركة

الذنوب التي تحجب البركة، والأسباب التي تضيق المعيشة

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]

تمهيد

إذا كانت الطاعة سببًا لبركة الرزق، فإن المعصية سبب لمحقها.

وإذا كانت التقوى تفتح أبواب الخير، فإن الذنوب تغلق كثيرًا من أبوابه.

وهنا ينبغي أن يفهم المؤمن فهمًا دقيقًا:

فليس كل من ضاق عليه رزقه عوقب بذنب، وليس كل من وسع عليه رضي الله عنه؛ فالرزق ابتلاء في الحالين.

لكن النصوص الشرعية دلت على أن للمعاصي آثارًا في القلب، وفي الحياة، وفي التوفيق، وأن الطاعة سبب لكل خير.

إن الذنوب لا تسرق المال فحسب، بل قد تسرق الطمأنينة، والصحة، والبركة، ومحبة الناس، ولذة العبادة، وهي أرزاق لا تساويها كل أموال الدنيا.

أولًا: المعاصي... أعظم أسباب ضيق الرزق

إن الذنب لا يفسد الآخرة وحدها، بل قد تبدأ آثاره في الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف 96.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الشورى 30.

وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ الروم 41.

وفي الحديث: "إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه"[42].

فإن المعصية ظلمة.

وإذا أظلم القلب، انطفأت فيه بركات كثيرة.

قال عبد الله بن مسعود: (إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها)[43].

فإذا كان الذنب يحرم العلم، وهو من أعظم الأرزاق، فما الظن بغيره؟

ثانيًا: الربا حرب مع الله

من أشد ما توعد الله به في القرآن أهل الربا حيث أعلن حربه عليهم، ومن يحاربه الله كيف يأمن!

---

[42] ابن ماجه.
[43] مسند الدارمي.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)﴾ البقرة. ومن نتائج حرب الله على العصاة محق بركة أرزاقهم قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة276.

والمحق هو الذهاب شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى أثر.

فكم من أموال عظيمة انتهت إلى حسرة.

وكم من ثروات جرّت على أصحابها الشقاء في الدنيا قبل الآخرة.

ثالثًا: أكل الحرام

قال رسول الله ﷺ في وصف الرجل الذي يطيل السفر، أشعث أغبر، يرفع يديه إلى السماء يقول: يا رب، يا رب، ثم قال: "ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك؟"[44]. **ومن حرم قبول دعوته فأي رزق يأتيه!**

إن المال الحرام قد يملأ الجيوب، لكنه يفرغ القلوب.

وقد يبني البيوت، لكنه يهدم الانتفاع بها.

وقد يوسع التجارة، لكنه يضيق الصدر.

ولهذا كان السلف يتورعون عن الشبهة، كما يتورع غيرهم عن الحرام الصريح.

---

44 البخاري.

رابعًا: الغش والخيانة

قال النبي ﷺ: "من غش فليس مني"[45].

وهذا الحديث لا يقتصر على البيع والشراء، بل يشمل كل صور الغش؛ في الوظيفة، والصناعة، والتعليم، والعقود، والاستشارات.

وقد يظن الغاش أنه ربح صفقة، لكنه خسر ثقة الناس، وعرّض نفسه لسخط الله.

وما انتشرت الخيانة في أمة إلا نزعت البركة من كثير من أعمالها.

قال ﷺ: "البيعان بالخيار فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما"[46]. فالبركة حليف الصدق، والمحق قرين الكذب أصل الغش والخيانة.

خامسًا: البخل ومنع حق الله

قد يتوهم الإنسان أن حفظ المال يكون بالإمساك.

لكن القرآن يقرر أن المال الذي يمنع حق الله معرض للهلاك.

وانظر إلى قصة أصحاب الجنة في سورة القلم.

خرجوا يريدون أن يقطفوا ثمار بستانهم قبل أن يعلم الفقراء.

وكان شعارهم: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ القلم 20.

فلما وصلوا وجدوا الجنة قد صارت سوداء محترقة.

---

45 مسلم.
46 البخاري ومسلم..

إنها ليست قصة عن بستان.

إنها قصة عن كل مال أغلق صاحبه أبوابه في وجه المحتاجين.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ القلم 19.

ليعلم الناس أن الله قادر على أن يسلب النعمة في لحظة.

سادسًا: الظلم

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إبراهيم 42.

وقال النبي ﷺ: "اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".[47]

إن الظلم يمحق بركة المال، ولو كثر.

فالمال الذي بني على ظلم العمال، أو أكل حقوق الناس، أو الغصب، أو الرشوة، أو الخداع، يحمل في داخله أسباب فنائه.

وقد يمهل الله الظالم، لكنه لا يهمله.

سابعًا: قطع الرحم

إذا كانت صلة الرحم من أسباب سعة الرزق، فإن قطيعتها من أسباب ضيق الرزق.

قال رسول الله ﷺ: "لا يدخل الجنة قاطع"[48].

47 البخاري ومسلم..
48 البخاري ومسلم..

وفي الحديث الآخر: "من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه".[49]

فمن أراد العوض الجميل، فليبدأ بأقرب الناس إليه.

فكم من أخوين فرقت بينهما الدنيا، فضاقت على كليهما!

وكم من بيت عادت إليه الألفة، فعادت معه الأرزاق.

ثامنًا: الكبر ونسبة النعمة إلى النفس

الكبر داء عضال وعاقبته وخيمة، يذهب الرزق وقد يذهب صاحبه معه.

وهذا هو داء قارون، لما قيل له: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص 77.

أجاب في غرور: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص 78.

فنسب النعمة إلى نفسه ونسي فضل الله.

فجاءه العقاب سريعًا: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ القصص 81.

تاسعاً: التعلق بالدنيا

من أعظم موانع راحة القلب أن تصبح الدنيا أكبر هم الإنسان.

قال رسول الله ﷺ: «من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له.»[50]إن التعلق بالدنيا لا يزيد رزقًا، وإنما يزيد قلقًا. وأما من جعل الآخرة أكبر همه، أصلح الله له دنياه وآخرته، وبارك له فيما آتاه.

---

49 البخاري ومسلم..

50 صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

وقفة إيمانية

أيها القارئ...

قد يفتح الله عليك بابًا من أبواب الدنيا، فلا تجعل ذلك دليل رضا.

وقد يضيق عليك في بعض الرزق، فلا تجعل ذلك علامة غضب.

وانظر دائمًا إلى الرزق بمفهومه الشامل.

واسأل نفسك:

هل يقربني هذا الرزق من الله، أم يبعدني عنه؟

هل أعانني على بر والدي؟ وصلة رحمي؟

وتربية أولادي؟ ونفع المسلمين؟

أم أصبح شاغلًا لي عن الصلاة، وعن القرآن، وعن ذكر الله؟

فإن الرزق الذي يقود إلى الطاعة نعمة.

والرزق الذي يقود إلى الغفلة فتنة.

هدايات الرزق

- الذنوب تمحق بركة الرزق، والطاعة تجلب الخير وتنميه.
- المال الحلال المبارك خير من المال الكثير الذي خالطه الحرام أو الظلم.
- الصدق، والأمانة، وأداء الحقوق من أعظم أسباب دوام النعمة.
- التوبة والاستغفار يمحوان آثار الذنوب، ويفتحان أبواب الرزق والفرج.
- أعظم ما يحفظ الرزق شكر المنعم، وتقواه، واستعمال نعمه في طاعته.

خاتمة الفصل

ليست موانع الرزق دعوة إلى الخوف، وإنما هي دعوة إلى المراجعة.

وليست سببًا لاتهام كل مبتلى، وإنما هي تذكير بأن للطاعة آثارًا، وللمعصية آثارًا، وأن الأرزاق هبات من الله، يمنحها من أقبل عليه بقلب صادق، وعمل صالح.

فإذا عرف المؤمن أبواب الخير، واجتنب أبواب الشر، عاش مطمئنًا، وأيقن أن رزقه بيد الله، وأن صلاح قلبه هو أعظم أسباب صلاح دنياه.

وبعد أن تعرفنا إلى سنن الرزق، وأسبابه، وموانعه، يحسن بنا أن ننتقل إلى التطبيق العملي في حياة الأنبياء، فهم خير من جسد هذه المعاني، وأصدق من ترجم اليقين إلى واقع، وفي قصصهم من الهدايات ما يثبت القلوب، ويغرس الثقة بوعد الله، ويعلمنا كيف يكون التعامل مع رزق الله في جميع الأحوال.

الفصل السادس :الرزق في مدرسة الأنبياء

دروس اليقين من حياة صفوة الخلق

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]

تمهيد

لا يقتصر القرآن على تقرير العقائد بالأوامر والنواهي، بل يصوغها في صورة حياةٍ تمشي على الأرض.

فإذا أراد أن يعلمنا الصبر، قصَّ علينا خبر أيوب.

وإذا أراد أن يعلمنا العفة، ساق إلينا قصة يوسف.

وإذا أراد أن يعلمنا التوكل، حدثنا عن إبراهيم وهاجر وموسى ومريم.

وهكذا في قضية الرزق لم يكتف القرآن بأن يقول: الله هو الرزاق، بل عرض نماذج بشرية عاشت هذه الحقيقة، مرةً في الغنى، ومرةً في الفقر، ومرةً في الخوف، ومرةً في الأمن، ومرةً في الصحراء، ومرةً في القصر، حتى يرى المؤمن أن الرزق لا تحكمه ظواهر الأحوال، وإنما تحكمه حكمة الله.

ولعل من أسرار كثرة القصص في القرآن أن العقيدة إذا تحولت إلى قصة، سكنت القلب، وصارت جزءًا من الوجدان، لا مجرد معلومة تحفظ.

أولًا: آدم عليه السلام

الرزق أول نعمة بعد الخلق

أول ما يلفت النظر أن الله سبحانه لما خلق آدم، لم يتركه يبحث عن رزقه، بل هيأ له أسباب الحياة قبل تكليفه.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة 35. فالرزق سبق التكليف، والنعمة سبقت الأمر والنهي.

وهذا من كرم الله.

لكن لما وقع آدم في المخالفة، لم يُحرم الرزق، وإنما تغيرت طبيعته؛ فأصبح تحصيله يحتاج إلى كدٍّ وسعي، تحقيقًا لسنة الابتلاء في الأرض.

هدايات الرزق

- أصل الأرزاق كلها من فضل الله، لا من استحقاق العبد.
- الطاعة تحفظ النعمة، والمعصية تعرضها للنقص أو زوال بركتها.
- باب التوبة مفتوح، ومن رجع إلى الله أصلح له دينه ودنياه.
- السعي في الأرض عبادة، وهو جزء من الاستخلاف الذي خلق الله الإنسان من أجله.

رسالة إلى القارئ

إذا ضاقت بك الدنيا، فلا تظن أن أبواب الرزق قد أغلقت، فتذكر أن الله الذي أخرج آدم من الجنة، هو الذي فتح له أبواب الأرض كلها، وجعل فيها أقواتًا ومعايش. فما دام الرزاق هو الله، فلا ينقطع الأمل، ولا يغيب الرجاء.

ثانيًا: هاجر وإسماعيل

حين يصنع اليقين أمة

من أعظم قصص الرزق في القرآن والسنة قصة هاجر.

تركها إبراهيم عليه السلام في وادٍ غير ذي زرع، لا ماء فيه، ولا شجر، ولا أنيس.

فلما أراد زوجها الرجوع قالت: "آلله أمرك بهذا؟"

قال: نعم.

قالت كلمةً خلدها التاريخ: "إذن لا يضيعنا"[51].

إنها ليست عبارة قالتها بلسانها فحسب، بل كانت عقيدة ملأت قلبها، فاطمأنت إلى ربها، وسلمت أمرها إليه.

ثم بذلت جهدها، فسعت بين الصفا والمروة تبحث عن الماء، ولم يمنعها يقينها من الحركة، ولم يدفعها سعيها إلى الاعتماد على نفسها.

---

[51] البخاري.

وفي اللحظة التي انتهت فيها قدرتها، بدأ فضل الله.

فنبع ماء زمزم من تحت قدمي إسماعيل، ولم يكن ماءً يسد عطش طفل فحسب، بل كان بداية عمران مكة، وموردًا للناس إلى يوم القيامة، ورزقًا متجددًا تتوارثه الأجيال.

ومن ذلك الوادي القاحل خرجت أعظم رسالة عرفتها الإنسانية، وقامت أعظم مدينة في تاريخ الإسلام.

هدايات الرزق

- اليقين بالله لا يلغي الأخذ بالأسباب، بل يمنحه معناه الصحيح.
- قد يبدأ الرزق من مكان يراه الناس مستحيلًا، إذا شاء الله ذلك.
- صدق النية قد تجعل المورد الصغير خيرًا متدفقًا عبر القرون.
- الثقة بالله عند انسداد الأفق هي بداية الفرج.

رسالة إلى القارئ

إذا رأيت نفسك في وادٍ مقفر، وأغلقت الأبواب في وجهك، فلا تيأس. فقد يجعل الله من موضع ضعفك بداية عطائه، ومن لحظة عجزك بداية منحة لا تخطر لك على بال.

ثالثًا: مريم عليها السلام

رزق السماء حين تضيق الأرض

دخل عليها زكريا عليه السلام، فوجد عندها فاكهة ليست في أوانها.

فسألها: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾.

فكان جوابها مدرسة في العقيدة: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران 37.

ثم انظر إلى ساعة المخاض، وهي في أشد حالات الضعف.

ومع ذلك أمرها الله أن تهز جذع النخلة، قال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ مريم 25.

ومن الناحية الظاهرة، امرأة ضعيفة لا تستطيع هز نخلة، ولكن الله أراد أن يعلم عباده أن الأخذ بالسبب عبادة، ولو كان الأثر الحقيقي من الله وحده.

هدايات الرزق

- العبادة الصادقة من أعظم ما يجلب عناية الله لعبده.
- خزائن الله لا تقف عند حدود المألوف.
- قد يجعل الله أضعف الأسباب طريقًا إلى أعظم العطايا.
- الرزق الحقيقي يبدأ حين يمتلئ القلب ثقةً بالله.

رسالة إلى القارئ

إذا رأيت الأسباب ضعيفة، فلا تستهن بها، وأدِّ ما عليك، ثم انتظر فضل الله. فقد يفتح لك من الأبواب ما تعجز عنه حسابات البشر، ويأتيك الخير من حيث لم يكن يخطر لك على بال.

رابعًا: موسى عليه السلام

دعاء صادق... وسعي مبارك... وفرج قريب

خرج موسى عليه السلام من مصر لا يحمل مالًا، ولا زادًا، ولا يعرف إلى أين ينتهي به الطريق.

كان مطاردًا، غريبًا، خائفًا، قد فارق وطنه وأهله، ولم يبق له إلا ربه.

ولما وصل إلى ماء مدين، وجد أمةً من الناس يسقون، ووجد امرأتين تنتظران بعيدًا عن الزحام.

فسقى لهما ابتغاء وجه الله، ولم يطلب أجرًا، ولم ينتظر مقابلًا، ثم انصرف إلى ظل شجرة، وقد بلغ منه الجهد مبلغه.

وهنا خرج من قلبه دعاء من أصدق ما يكون: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24].

إنه لم يحدد مطلوبًا بعينه.

لم يقل: ارزقني مالًا.

ولم يقل: آمني من خوفي.

ولم يقل: ردني إلى أهلي.

بل فوض الأمر كله إلى الله، معترفًا بفقره الكامل إليه.

ولم يطل الانتظار، فإذا بإحدى المرأتين تأتيه تمشي على استحياء، تدعوه إلى أبيها.

ثم اجتمع له في وقت يسير ما كان يتمناه كل غريب: أمن بعد خوف، وطعام بعد جوع، وعمل كريم، وزوجة صالحة، وبيت يأويه، وفوق ذلك نبياً ورسولا.

وهكذا يصنع الله بعباده إذا صدقوا في اللجوء إليه.

هدايات الرزق

- الإحسان إلى الناس من غير انتظار المقابل لا يضيع عند الله.
- الدعاء الصادق مفتاح من أعظم مفاتيح الفرج.
- قد يهيئ الله لعبده أسبابًا متعددة للخير بسبب عمل صالح واحد.
- الفقر الحقيقي هو الافتقار إلى الله، والغنى الحقيقي هو الغنى به.
- لا يستصغر المؤمن معروفًا يقدمه، فقد يكون سببًا لتحول حياته كلها.

رسالة إلى القارئ

إذا اجتمع عليك ضيق الرزق، ووحشة الغربة، وثقل الهم، فلا تيأس.

قف بين يدي الله كما وقف موسى عليه السلام، واعترف بفقرك إليه، ثم امضِ في طريق الإحسان والعمل، فإن الكريم سبحانه لا يضيع من أحسن، ولا يرد من دعاه مخلصًا.

خامسًا: يوسف عليه السلام

من الجب إلى خزائن الأرض

ومن أكثر قصص القرآن ارتباطًا بالرزق قصة يوسف عليه السلام؛ فهي رحلة يقين تبدأ بالجُب، ثم الرق، ثم السجن، ثم تنتهي بخزائن الأرض.

وفي كل مرحلة من مراحلها تتجلى حكمة الله في تدبير الأرزاق، حتى يعلم المؤمن أن الطريق إلى العطاء قد يمر بالابتلاء، وأن تأخر الفرج لا يعني غيابه، بل قد يكون إعدادًا له.

ابتلي يوسف عليه السلام صغيرًا بفراق أبيه، ثم بيع عبدًا بثمن بخس، ثم ظلم فسجن بغير جرم، ومع ذلك لم يفقد ثقته بربه، ولم يحمل في قلبه حقدًا، ولم يساوم على دينه.

ولما جاء وقت التمكين، لم يطلب المنصب طلبًا للدنيا، وإنما ليقيم العدل ويحفظ مصالح الناس.

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55].

لقد جمع بين شرطين عظيمين:

الحفظ؛ وهو الأمانة.

والعلم؛ وهو الكفاءة.

فالأمانة وحدها لا تكفي إذا غاب العلم، والعلم وحده لا ينفع إذا فقدت الأمانة.

ولهذا مكّن الله له في الأرض، وجعله سببًا في إنقاذ أمة كاملة من المجاعة.

وكان تدبيره الاقتصادي قائمًا على التخطيط، والادخار، وحسن الإدارة، والاستعداد للأزمات قبل وقوعها، وهي مبادئ لا تزال الأمم الناجحة تقوم عليها إلى اليوم.

ولما اجتمع له الملك، والجاه، والمال، لم ينس فضل الله، بل قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف: 101.

فنسب النعمة إلى المنعم، ولم ينسبها إلى ذكائه، ولا إلى خبرته، ولا إلى حسن تدبيره.

هدايات الرزق

- قد يكون الابتلاء بداية الطريق إلى أعظم العطاء.
- الصبر لا يؤخر الرزق، بل يهيئ صاحبه لحسن الانتفاع به.
- الأمانة والكفاءة أساس كل تمكين مبارك.

- التخطيط للمستقبل لا ينافي التوكل، بل هو من كمال التدين الصحيح.
- إذا أكرمك الله بالنجاح، فاحذر أن تنسب الفضل إلى نفسك، وانسبه إلى ربك.

رسالة إلى القارئ

لا تستعجل ثمار الطريق؛ فربما كان الله يعدك لما هو أعظم مما تطلب.

وإذا أبطأ الفرج، فلا تظن أن الله نسيك، بل يصنع الله منك إنسانًا يستطيع حمل النعمة إذا جاءت.

سادسًا: داود عليه السلام

العمل شرف... والكسب عبادة

إذا ذكر الرزق، ظن بعض الناس أن العبادة تعني الانقطاع عن العمل، ونسي أن الأنبياء كانوا أبعد الناس عن هذا الفهم.

ومن أروع النماذج في طلب الرزق واحترام العمل داود عليه السلام.

آتاه الله الملك، وآتاه النبوة، وسخر له الجبال والطير، وألان له الحديد، ومع ذلك كان يأكل من عمل يده.

قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: 10-11].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده.»[52]

لقد كان يستطيع أن يعيش من ملكه، لكنه اختار أن يعلم البشرية أن شرف الإنسان في كسبه الحلال، وأن اليد العاملة أحب إلى الله من اليد العاطلة.

وفي هذا درس عظيم لكل من يظن أن بعض المهن تقلل من قدر صاحبها.

فالكرامة ليست في نوع العمل، وإنما في صدقه، وإتقانه، وحِلِّه.

هدايات الرزق

- العمل شرف، مهما كان نوعه إذا كان مباحًا.
- إتقان الصناعة عبادة يتقرب بها العبد إلى الله.
- الاعتماد على الكسب الحلال يورث عزة النفس.
- الأنبياء جمعوا بين العبادة والعمل، فلم يفصلوا بين الدين والدنيا.

رسالة إلى القارئ

لا تستصغر عملًا حلالًا، ولا تنتظر رزقًا بلا سعي.

واجعل شعارك أن اليد التي تعمل بصدق أحب إلى الله من اليد التي تنتظر عطايا الناس.

---

52 البخاري.

سابعًا: سليمان عليه السلام

حين يقود الغنى إلى الشكر

إذا كان داود نموذجًا للكسب بالعمل، فإن سليمان عليه السلام نموذج للغنى الذي لم يفسد صاحبه.

آتاه الله ملكًا لم يؤته أحدًا من العالمين، وسخر له الريح، والجن، والطير، والدواب، وجعل بين يديه من أسباب القوة ما لم يجتمع لغيره.

ومع هذه النعم كلها، لم يتكبر، ولم يغتر، ولم ينسب الفضل إلى نفسه.

بل كان أول ما يجري على لسانه إذا رأى نعمة جديدة: ﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40].

يا لها من كلمة عظيمة!

لم ير النعمة دليل استحقاق، بل رآها اختبارًا، ولم ير الملك نهاية الطريق، بل بداية المسؤولية.

إن كثيرًا من الناس يحسنون الصبر على الفقر، لكن قليلًا منهم يحسن الشكر عند الغنى.

وقد نجح سليمان عليه السلام في هذا الامتحان؛ لأن قلبه كان متعلقًا بالله، لا بما في يده.

هدايات الرزق

- كثرة المال ليست مذمومة إذا صحبتها التقوى والشكر.
- كل نعمة هي امتحان قبل أن تكون متعة.
- نسبة الفضل إلى الله تحفظ النعم وتزيدها.
- الغنى الحقيقي هو غنى القلب، لا كثرة الممتلكات.

رسالة إلى القارئ:

إذا فتح الله عليك أبواب الرزق، فلا يكن أول ما يزداد في حياتك هو الإنفاق على الشهوات، بل ليزدد شكرك، وتواضعك، وإحسانك إلى الناس، فإن النعم تدوم بالشكر، وتزول بالجحود.

ثامناً: أيوب عليه السلام

البلاء لا يمنع الرزق... والصبر يورث العوض الجميل

إذا ذُكر الصبر، كان أيوب عليه السلام في مقدمة من يذكرهم القرآن.

ابتلاه الله في جسده، وماله، وأهله، حتى ظن كثير من الناس أن أسباب الحياة قد انقطعت عنه، لكنه لم يفقد أعظم رزق يملكه المؤمن: اليقين بربه.

لم يتسخط، ولم يعترض، ولم يتهم ربه في حكمته، بل بقي قلبه عامرًا بالرضا، ولسانه رطبًا بالذكر، حتى إذا اشتد به البلاء رفع أكف الضراعة قائلًا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

انظر كيف أدب الدعاء.

لم يذكر تفاصيل مصيبته.

ولم يشكُ ربه إلى خلقه.

وإنما شكا حاله إلى ربه، ووصفه بأعظم صفاته المناسبة لمقامه: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

فجاء الفرج سريعًا.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: 84].

لقد رد الله إليه صحته، وأهله، وبارك له في حياته، ليبقى أيوب مدرسة خالدة في أن البلاء مرحلة من مراحل الطريق، وليس نهاية الطريق.

هدايات الرزق

- الصبر من أعظم أسباب الفرج.
- البلاء لا يعني أن الله تخلى عن عبده، بل قد يكون رفعة له.

- الدعاء بأدب وخضوع أقرب إلى الإجابة.
- أعظم الأرزاق عند الشدة هو الثبات والرضا.

رسالة إلى القارئ

إذا طال عليك البلاء، فلا تستبطئ رحمة الله.

فقد يؤخر سبحانه الفرج لحكمة، لكنه لا ينسى عبده، ولا يضيع صبره.

تاسعًا: زكريا عليه السلام

حين يرزق الله بعد انقطاع السبل

كانزكريا عليه السلام شيخًا كبيرًا، وامرأته عاقرًا، وكل الأسباب البشرية تقول إن باب الذرية قد أغلق.

لكن المؤمن لا يقيس قدرة الله بمقاييس البشر.

وقفزكريا في محرابه، يناجي ربه في خفاء، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89].

وقبل ذلك كان قد قال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: 4].

إنه يعترف بضعفه، لكنه لا يفقد ثقته بربه.

فجاءه الجواب من السماء: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ... أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: 39].

لقد جاء الرزق بعد أن انقطعت كل طرقه.

ليتعلم المؤمن أن الله إذا أراد شيئًا، هيأ له أسبابه، ولو رآها الناس مستحيلة.

هدايات الرزق

- لا يقف الدعاء عند حدود العمر أو الواقع.
- تأخر الإجابة لا يعني رد الدعاء.
- قدرة الله فوق كل سبب.
- اليأس ليس من أخلاق المؤمنين.

رسالة إلى القارئ

لا تقل: فات الأوان.

فإن الذي رزق زكريا يحيى بعد الكبر، قادر على أن يرزقك من فضله في الوقت الذي يختاره بحكمته.

خاتمة الفصل

إذا تأملت حياة الأنبياء جميعًا، وجدت أن صور الرزق تختلف، لكن المدرسة واحدة.

فآدم تعلم أن المعصية تفسد رغد العيش.

وهاجر علمتنا أن اليقين يأتي بالفرج.

ومريم علمتنا أن قدرة الله فوق كل قدرة.

وموسى علمنا أن الإحسان والدعاء يفتحان أبواب الخير.

ويوسف علمنا أن الصبر والأمانة طريق التمكين.

وداود علمنا شرف العمل والكسب الحلال.

وسليمان علمنا أن الشكر يحفظ النعمة.

وأيوب علمنا أن الصبر لا بعده عوضٌ جميل.

وزكريا علمنا أن الأمل لا يموت ما دام القلب متعلقًا بالله.

وهكذا تتحد جميع هذه القصص في رسالة واحدة:

إن الرزق ليس رحلة إلى الأسواق ، بل رحلة إلى الرزاق.

فكلما ازداد القلب معرفة بربه، ازداد يقينًا بوعده، وحسنًا للظن به، ورضًا بقضائه، وسعيًا فيما يرضيه.

ومن تخرج في مدرسة الأنبياء، لم يعد يخاف على رزقه خوفًا يفسد قلبه، ولم يغتر إذا وسع الله عليه، ولم ييأس إذا ضاقت به الدنيا؛ لأنه يعلم أن الرزاق سبحانه يدبر أمره بحكمة، وأنه سبحانه لا يقدر لعباده إلا خيرا.

وبعد أن تعلمنا اليقين من حياة الأنبياء، ننتقل في الفصل القادم إلى الرزق في هدي النبي محمد ﷺ، لنرى كيف جسّد خاتم الأنبياء هذه المعاني في حياته، وكيف ربّى أصحابه على التوازن بين السعي في الأرض، والتوكل على رب الأرض والسماء.

الفصل السابع :الرزق في هدي النبي ﷺ

حين تحولت تعاليم السماء إلى واقعٍ يُعاش

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

تمهيد

إذا كانت حياة الأنبياء جميعًا مدرسة في اليقين، فإن حياة نبينا محمد ﷺ هي أكمل تلك المدارس، وأقربها إلى واقع الأمة.

لقد عاش ﷺ جميع أحوال الرزق؛ عرف اليتم صغيرًا، ورعى الغنم، وعمل في التجارة، وذاق الفقر، وعرف الغنى الذي جاءه بعد الفتوح، وعاش قائدًا لدولة تمتد أطرافها، ثم فارق الدنيا ولم يترك دينارًا ولا درهمًا، وإنما ترك ميراثًا من الإيمان واليقين.

ولهذا لم يكن حديثه عن الرزق نظريات تروى، بل كان حياةً عاشها، وسلوكًا ربى عليه أصحابه، حتى خرج جيل يرى المال نعمة، لا غاية، ويرى العمل عبادة، والتوكل قوة، والقناعة غنى.

ومن يتأمل سيرته ﷺ يجد أن أعظم ما غرسه في النفوس هو تحريرها من الخوف على الرزق، وربطها بالرزاق سبحانه.

أولًا: النبي ﷺ راعي الغنم الذي ربّى العالم

قال رسول الله ﷺ: «ما بَعَثَ اللهُ نَبيًّا إلَّا رَعى الغَنَمَ، فقال أصحابُه: وأنتَ؟ فقال: نَعَم، كُنتُ أرعاها على قَراريطَ لأهلِ مَكَّةَ»[53].

ليست هذه مجرد مرحلة من مراحل حياته، بل هي إعداد رباني.

ففي رعي الغنم تعلم الصبر، والرفق، وتحمل المسؤولية، وحسن القيادة، والاعتماد على النفس.

إن الإسلام لا يحتقر العمل مهما كان بسيطًا، بل يباركه إذا كان حلالًا.

ولهذا لم يخجل النبي ﷺ أن يخبر أصحابه أنه كان راعيًا، لأن قيمة الإنسان ليست في نوع مهنته، وإنما في أمانته وإخلاصه.

هدايات الرزق

- لا يوجد عمل حلال يعيب صاحبه.
- البدايات المتواضعة قد تكون طريقًا إلى أعظم الرسالات.
- التربية على تحمل المسؤولية تبدأ من العمل.

[53] البخاري.

ثانيًا: التاجر الأمين

قبل البعثة عمل النبي ﷺ في التجارة، واشتهر بين أهل مكة بالصادق الأمين.

ولم يكن نجاحه بسبب كثرة المال، وإنما بسبب الصدق، والأمانة، وحسن الخلق.

ولذلك اختارته السيدة خديجة رضي الله عنها ليتاجر بمالها، فلما رأت أمانته، بارك الله في تلك التجارة، ثم كانت تلك الأخلاق سببًا في زواجه منها.

وهكذا يعلمنا النبي ﷺ أن رأس مال التاجر الحقيقي ليس المال، وإنما الثقة.

فالأسواق تبنى بالأمانة، وتنهدم بالغش.

هدايات الرزق

- الصدق يجلب البركة قبل أن يجلب الأرباح.
- السمعة الحسنة من أعظم رؤوس الأموال.
- الأخلاق سبب من أسباب النجاح الدائم.

ثالثًا: الزهد مع القدرة

بعد أن فتح الله على رسوله ﷺ كنوز الأرض، لم تتغير حياته.

كانت تمر عليه الشهور، فلا يوقد في بيته نار.

"عَن عائِشةَ رَضيَ اللهُ عنها، قالت: كان يَأتي علينا الشَّهرُ ما نوقِدُ فيه نارًا، إنَّما هو التَّمرُ والماءُ، إلَّا أن نُؤتى باللُّحَيم"[54].

[54] البخاري.

ولم يكن ذلك عجزًا، بل اختيارًا.

فقد كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويبيت وربما لم يجد إلا التمر والماء.

وكان يقول ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا.»[55]

أي: ما يكفيهم دون إسراف ولا ترف يلهيهم عن رسالتهم.

لقد أراد أن يربي الأمة على أن الغنى الحقيقي ليس في كثرة الممتلكات، وإنما في امتلاء القلب بالله.

هدايات الرزق

- القناعة لا تعني ترك العمل، بل تعني الرضا بعد السعي.
- كثرة المال ليست دليل السعادة.
- من امتلأ قلبه بالله استغنى عن كثير مما في أيدي الناس.

رابعًا: التوكل الذي يصنع القوة

لم يكن النبي ﷺ يعرف التواكل ، رعى الغنم واتجر وجسد التوكل في حياته كلها

ففي الهجرة خطط، واختار الدليل، وهيأ الراحلتين، وأخفى الطريق، ثم قال لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

إنها الكلمة التي تختصر معنى التوكل.

---

55 البخاري ومسلم..

أخذ بالأسباب كاملة.

ثم علق قلبه بالله وحده.

وهكذا ينبغي للمؤمن في طلب رزقه.

يخطط.

ويجتهد.

ويتعلم.

ويعمل.

ثم يرضى بما يقسمه الله له.

هدايات الرزق

- الأخذ بالأسباب من تمام التوكل.
- اليقين بالله سر نجاح العبد وتوفيقه.
- من كان الله معه فلن يضيعه.

خامسًا: العطاء الذي لا يخشى الفقر

كان رسول الله ﷺ أجود الناس.

وكان إذا جاءه المال لم يدخره لنفسه، بل يفرقه بين المحتاجين.

وقد أعطى بعض الناس من الغنائم مئات الإبل، حتى قال بعضهم: "إن محمدًا ليعطي عطاء من لا يخشى الفقر"[56].

ولم يكن كرمه إسرافًا، وإنما ثمرة يقين عظيم بأن خزائن الله لا تنفد.

وكان يعلم أصحابه أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن المنفق هو الرابح الحقيقي.

هدايات الرزق

- السخاء دليل الثقة بالله.
- الإنفاق لا ينقص المال، بل يزيد بركته.
- خير الناس أنفعهم للناس.

56 الجامع الصحيح للسيرة النبوية، سعد المرصفي.

وقفة إيمانية

في حياة النبي ﷺ تجتمع معاني الرزق كلها.

فهو العامل المجتهد.

والتاجر الأمين.

والعابد الزاهد.

والقائد الحكيم.

والمنفق الكريم.

والمتوكل الصادق.

ولهذا لم يرب أصحابه على انتظار الرزق، وإنما ربّاهم على صناعة الإنسان المبارك.

خاتمة الفصل

من سار مع النبي ﷺ في هديه، علم أن الرزق ليس سباقًا إلى جمع المال، وإنما سباق إلى رضا الله.

فإذا رضي الله عن عبده، بارك له فيما أعطاه، وإن كان قليلًا.

لقد كان ﷺ أغنى الناس قلبًا، مع أنه لم يكن أكثرهم مالًا، وأوسعهم عطاءً، مع أنه لم يكن يدخر لنفسه، وأعظمهم يقينًا، لأنه كان يعلم أن خزائن ربه لا تنفد.

وهذا هو الدرس الذي تحتاجه الأمة اليوم أكثر من أي وقت مضى: أن تعود إلى العمل، والأمانة، والتوكل، والقناعة، والإنفاق، وحسن الظن بالله، لتستعيد بركة الرزق في أفرادها ومجتمعاتها.

ومن هدي النبي ﷺ ننتقل إلى التطبيق العملي في حياة أصحابه الكرام، الذين تربوا على يديه، فكانوا نماذج حية لمعاني الرزق، والزهد، والإنفاق، والقناعة، وحسن التوكل على الله.

الفصل الثامن: الرزق في حياة الصحابة والسلف الصالح

نماذج عملية في التوكل والكسب والقناعة

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

[التوبة: 100]

تمهيد

إذا كانت سيرة النبي ﷺ هي المنهج، فإن سيرة أصحابه هي التطبيق العملي لذلك المنهج.

لقد تربى الصحابة في مدرسة النبوة، فصاروا يرون الرزق بعين الإيمان، لا بعين المادة وحدها.

لم يكن المال سيدًا في حياتهم، بل كان وسيلة لعبادة الله، وإعمار الأرض، ونفع الناس.

كان فيهم الغني، وفيهم الفقير، وفيهم التاجر، وفيهم العامل، وفيهم المجاهد، لكنهم جميعًا اشتركوا في حقيقة واحدة: **أن قلوبهم كانت معلقة بالرزاق، لا بالأرزاق.**

ولهذا بارك الله في أعمارهم، وأموالهم، وأعمالهم، حتى أقاموا حضارة لم يعرف التاريخ لها مثيلًا.

أولًا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

المال في خدمة العقيدة

كان أبو بكر الصديق من أغنياء قريش قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام لم يجعل المال سيدًا عليه، بل جعله خادمًا للدين.

أنفق في تحرير المستضعفين، ومنهم بلال بن رباح.

وأنفق في الهجرة.

وأنفق في تجهيز الجيوش.

ولما دعا النبي ﷺ إلى الصدقة في غزوة تبوك، جاء أبو بكر بماله كله.

فسأله النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟»

قال: «أبقيت لهم الله ورسوله».[57]

لم يكن ذلك تهورًا، وإنما كان يقينًا ملأ قلب رجل عرف ربه.

قال النبي ﷺ: «ما نفعني مالُ أحدٍ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر».

فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال:

«وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟» [58]

---

[57] صحيح الترمذي.
[58] السلسلة الصحيحة للألباني.

ليس المقصود أن أبا بكر كان أكثر الصحابة مالًا، وإنما أن ماله كان أعظم الأموال نفعًا للدعوة الإسلامية؛ لأنه أنفقه في وقت كانت الدعوة فيه في أشد الحاجة إلى المال، وأنفقه بإخلاص تام، دون منٍّ ولا تردد.

ولهذا كان هذا الحديث شهادة نبوية عظيمة بفضل أبي بكر، وأن بذله لم يكن مجرد إنفاق مال، بل كان نصرةً للدين في أدق مراحله، حتى قال النبي ﷺ: «ما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر».

هدايات الرزق

- أطيب المال ما كان في طاعة الله، وأُنفق ابتغاء وجه الله، وبقي أثره في الدنيا، وعظم أجره في الآخرة.
- اليقين بوعد الله يحرر القلب من التعلق بالمال؛ فمن وثق برزق الله سهل عليه البذل والعطاء.
- المال وسيلة لا غاية؛ فأهل الإيمان يجعلونه خادمًا للعقيدة والحق، لا سيدًا على القلوب.
- أفضل الصدقة ما وافقت وقت الحاجة؛ فبذل المال عند الشدائد ونصرة الدين والمحتاجين من أعظم أبواب الخير.
- المنفق على يقين لا يفتقر؛ فمن ترك شيئًا لله، وأنفق ابتغاء مرضاته، عوّضه الله خيرًا وبارك له فيما أبقى.

ثانيًا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

العمل عبادة

كان عمر رضي الله عنه يفهم التوكل فهمًا صحيحًا.

رأى قومًا يجلسون في المسجد بعد الصلاة، فسألهم عن شأنهم.

قالوا: نحن المتوكلون.

فقال كلمته المشهورة: (بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل من ألقى حبه في الأرض ثم توكل على الله)."[59]

لقد كان يربي الأمة على أن العمل عبادة، وأن انتظار الرزق بلا سعي مخالف لسنة الله في الكون.

وكان شديد الحرص على العدل؛ لأنه يعلم أن الظلم يدمر المجتمعات، وأن إقامة الحقوق سبب لازدهار الأمة.

هدايات الرزق

- التوكل لا ينافي العمل.
- العدل من أعظم أسباب عمار المجتمعات.
- الأمة المنتجة أقرب إلى معاني الاستخلاف من الأمة المستهلكة.

59 التوكل على الله لابن أبي الدنيا.

ثالثًا: عثمان بن عفان رضي الله عنه

الغنى الشاكر

أثبت عثمان رضي الله عنه أن الغنى إذا اقترن بالإيمان والشكر والإنفاق، صار نعمةً عظيمة، وأن المسلم لا يُمدح بفقره أو غناه، وإنما يُمدح بتقواه وحسن تصرفه فيما آتاه الله. ولذلك بقي اسم عثمان رضي الله عنه مقرونًا بالسخاء والبذل، حتى صار أحد أعظم النماذج في تاريخ الإسلام لـ الغني الشاكر.

كان عثمان بن عفان من كبار التجار.

لكن تجارته لم تشغله عن آخرته.

ولما قدمت قافلته إلى المدينة في عام المجاعة، عرض التجار أن يربحوه أضعافًا.

فقال: لقد زادني الله."[60]

ثم جعل القافلة كلها صدقة لله.

كما اشترى بئر رومة وجعلها وقفًا للمسلمين، وجهز جيش العسرة بماله.

لقد فهم عثمان أن المال إذا خرج في سبيل الله، عاد على صاحبه أضعافًا في الدنيا والآخرة.

60 الشريعة للآجري.

هدايات الرزق

- الغنى مع الصلاح من النعم الجليلة.
- الوقف والصدقة الجارية من أعظم صور استثمار المال.
- المال يبقى أثره إذا تحول إلى نفع دائم للناس.

رابعًا: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

التاجر الذي بدأ من الصفر

يُعد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من أعظم النماذج في الجمع بين النجاح في التجارة، والورع، والزهد، والإنفاق في سبيل الله، حتى استحق أن يكون قدوة لكل مسلم يسعى إلى الرزق الحلال.

هاجر عبد الرحمن بن عوف من مكة إلى المدينة، وترك ماله كله.

ولما آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، عرض عليه سعد نصف ماله.

فقال عبد الرحمن: «بارك الله لك في مالك وأهلك، دلني على السوق.»[61]

إنها كلمة تختصر منهج الإسلام.

لا سؤال.

ولا اتكال.

[61] البخاري ومسلم..

ولا استغلال.

بل عمل، وسعي، وحركة.

فقد بدأ من الصفر، واعتمد بعد توفيق الله على العمل والاجتهاد، حتى صار من كبار التجار، دون غش أو ربا أو ظلم، فكان مثالًا للتاجر الأمين، والغني الشاكر، الذي جعل الدنيا في يده لا في قلبه.

هدايات الرزق

- البداية الصغيرة لا تمنع النهاية الكبيرة.
- الاستقلال في الكسب يحفظ كرامة الإنسان.
- النجاح الحقيقي هو أن يجتمع الغنى مع السخاء.

خامسًا: أبو هريرة رضي الله عنه

الفقر الذي تحول إلى علم

كان أبو هريرة رضي الله عنه مثالًا فريدًا في أن الفقر لا يمنع صاحبه من بلوغ أعلى المراتب إذا امتلأ قلبه بالإيمان والعلم.

قدم أبو هريرة إلى المدينة المنورة فقيرًا لا يملك من الدنيا إلا القليل، ولزم النبي ﷺ ملازمةً تامة، وكان من أهل الصُّفَّة الذين اتخذوا المسجد النبوي مأوى لهم، وقد يمر عليه اليوم واليومان لا يجد ما يأكله، حتى قال عن نفسه لقد: "رَأَيتُني وإِنِّي لَأَخِرُّ فيما بينَ مِنبَرِ

رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى حُجرةِ عائِشةَ مَغشيًّا عليَّ، فيَجيءُ الجائي فيَضَعُ رِجلَه على عُنُقي، ويُرى أنِّي مَجنونٌ، وما بي مِن جُنونٍ، ما بي إلَّا الجوع ".[62]

ومع هذا الفقر، لم ينشغل بطلب الدنيا عن طلب العلم، بل جعل وقته كله في صحبة النبي ﷺ، يسمع حديثه، ويحفظ أقواله وأفعاله.

حتى أصبح أبو هريرة أكثر الصحابة روايةً للحديث النبوي، فروى أكثر من خمسة آلاف حديث، وانتفع بعلمه العلماء والفقهاء في كل عصر، وبقي اسمه خالدًا في تاريخ الإسلام، بينما اندثر ذكر كثير من أصحاب الأموال والجاه.

وهكذا تحوّل فقر أبي هريرة رضي الله عنه إلى غنى من نوع آخر؛ غنى العلم، وغنى القرب من رسول الله ﷺ، وغنى الأثر الذي بقي بعد وفاته. وكان برهانًا على أن أعظم الأرزاق ليس كثرة المال، وإنما العلم النافع، والإيمان الصادق، والعمل الصالح، وأن من جعل همه الآخرة آتاه الله من فضله ما هو خير وأبقى.

هدايات الرزق

- العلم النافع من أعظم الكنوز.
- قد يحرم الإنسان مالًا، ويمنحه الله ما هو أعظم منه.
- البركة في العمر والعمل رزق لا يقدر بثمن.

[62] البخاري.

سادسًا: عمر بن عبد العزيز رحمه الله

حين تعود البركة إلى الأمة

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله نموذجًا فريدًا للحاكم الذي أعاد للأمة معنى البركة بالعدل والتقوى. فما إن تولى الخلافة حتى بدأ بنفسه، فردَّ المظالم، وأعاد الأموال إلى أهلها، وترك مظاهر الترف، وآثر حياة الزهد والورع، حتى أصبح يُلقب بـ الخليفة الراشد الخامس عند كثير من أهل العلم.

آمن عمر بأن الرزق لا يزداد بالظلم، وإنما يباركه الله بالعدل، فكتب إلى ولاته يأمرهم بتقوى الله، والرفق بالرعية، وإقامة الحق، ومحاربة الفساد.

وفي عهده انتشر الأمن، وازدهرت الزراعة والتجارة، وكثرت موارد بيت المال، حتى اشتهر في كتب التاريخ أن عمال الزكاة كانوا يطوفون في بعض الأمصار يبحثون عن مستحق فلا يجدون من يأخذ الزكاة، وذلك لما عمَّ الرخاء، وإن كانت هذه الروايات تختلف في تفاصيلها، إلا أن المؤرخين اتفقوا على أن عهده كان من أزهى عصور العدل والإصلاح.

ولم يكن سر هذه البركة كثرة الموارد، بل بركة الطاعة والعدل؛ فقد صدق في قوله وعمله، وقدم مصلحة المسلمين على مصلحته، حتى إنه رد كثيرًا من أملاكه إلى بيت مال المسلمين، وأطفأ في نفسه شهوة الدنيا، فبارك الله في أيامه القليلة، إذ لم تزد مدة خلافته على نحو سنتين وخمسة أشهر، ومع ذلك ترك أثرًا بقي قرونًا.

إن قصة عمر بن عبد العزيز تعلمنا أن بركة الأمة لا تُصنع بالثروات وحدها، وإنما تُصنع بالإيمان، والعدل، والأمانة، وحسن إدارة الحقوق. فإذا صلحت العلاقة مع الله، وأُديت الحقوق إلى أهلها، نزلت البركات من السماء، وخرجت خيرات الأرض، مصداقًا لقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الأعراف: 96.

وهكذا بقي عمر بن عبد العزيز رحمه الله شاهدًا على أن العدل يجلب النعم، والتقوى تفتح أبواب الرزق، والإصلاح الصادق يغيّر أحوال الأمم في زمن يسير إذا صدقت النيات واستقامت الأعمال.

هدايات الرزق

- التقوى مفتاح الرزق .
- العدل سبب لازدهار الأرزاق وانتشار الخير .
- رد المظالم يجلب بركة المال والمجتمع .
- القناعة هي الغنى الحقيقي .
- الإنفاق في وجوه الخير يزيد الرزق.

سابعًا: الإمام أبو حنيفة رحمه الله

العالم التاجر

كان أبو حنيفة النعمان رحمه الله من أروع النماذج في الجمع بين العلم والتجارة، فلم يرَ في طلب الرزق الحلال عائقًا عن طلب العلم، ولا في الاشتغال بالفقه سببًا لترك العمل، بل جمع بينهما حتى صار إمامًا في الدين، وتاجرًا أمينًا.

امتهن تجارة الأقمشة، وكانت له تجارة واسعة في الكوفة، واشتهر بالصدق والأمانة، وكان يتحرى الحلال في كل معاملة، ويبتعد عن الشبهات، ويعد المال وسيلةً للاستغناء عن الناس، وخدمة العلم، والإنفاق على المحتاجين.

وكان ينفق بسخاء على طلاب العلم، ويعينهم على التفرغ للفقه، حتى تخرج على يديه كبار الأئمة، وفي مقدمتهم أبو يوسف، الذي صار أول قاضي قضاة في الدولة العباسية.

ولما عرض عليه الخلفاء المناصب الرفيعة، ومنها القضاء، امتنع عنها؛ خشية أن يحكم بغير الحق أو يُستغل علمه فيما لا يرضي الله، فابتُلي بسبب ذلك، وصبر محتسبًا.

لقد جسّد الإمام أبو حنيفة رحمه الله معنى العالم التاجر؛ فكان علمه نافعًا، وكسبه حلالًا، وماله في خدمة العلم والدعوة، ولم يجعل التجارة تشغله عن العبادة، ولا العلم يمنعه من العمل. فكان برهانًا على أن الإسلام يدعو إلى التوازن، وأن خير الناس من جمع بين العلم النافع، والكسب الطيب، والورع، والإنفاق في سبيل الله.

هدايات الرزق

- الجمع بين العلم والكسب الحلال عبادة .
- الصدق والأمانة أساس بركة التجارة .
- الاستغناء عن الناس يحفظ كرامة العالم .
- إتقان العمل سبب لدوام الرزق .
- السخاء والإنفاق من أسباب بركة المال ونمائه.

ثامنًا: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

القناعة تاج العلماء

كان أحمد بن حنبل رحمه الله إمامًا في العلم، وإمامًا في الزهد والقناعة، حتى صار مثالًا للعالم الذي أغناه الله بعزة النفس، وإن قلَّ ما في يده من متاع الدنيا.

عاش حياةً بسيطة، وكان يتحرى الحلال في مأكله ومشربه وملبسه، ويكره أن يتكلف للناس أو يمد يده إليهم.

وكان يعتمد في معيشته على ما يتيسر له من الكسب المباح، ويصبر على ضيق العيش، حتى رُوي أنه تمر عليه الأيام وليس في بيته إلا القليل من الطعام.

ولما تعرض للمحنة في قضية القول بخلق القرآن، وعُرضت عليه الأموال والمناصب ليوافق السلطان، أبى أن يبيع دينه بعرض من الدنيا، فاختار السجن والجلد على أن يقول ما لا يعتقد، فرفع الله ذكره، وجعل ثباته من أعظم مواقف العلماء في تاريخ الإسلام.

وكان شديد الكرم مع قلة ذات اليد، فإذا جاءه شيء من المال أنفق منه على المحتاجين، ولم يكن يدخر للدنيا إلا ما يقيم أوده، وكان يرى أن العلم لا يثمر إلا إذا صاحبه الإخلاص والزهد والورع.

لقد علّم الإمام أحمد رحمه الله الأمة أن القناعة ليست عجزًا عن الكسب، وإنما هي رضا بما قسم الله، مع السعي في الحلال، والاستغناء عن الخلق، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس. ولذلك بقي اسمه مقرونًا بالعلم والثبات والورع، وأصبح قدوة لكل من أراد أن يجمع بين صدق الإيمان، وعزة النفس، والقناعة، وحسن التوكل على الله.

هدايات الرزق

- الثبات على الحق سبب لبركة الرزق .
- الرزق بيد الله لا بيد الخلق .
- الصبر على الشدائد مفتاح الفرج.
- القناعة والعفة تحفظان كرامة الإنسان ورزقه .

تاسعًا: الإمام ابن تيمية رحمه الله

حرية القلب

كان ابن تيمية رحمه الله يرى أن الغنى الحقيقي ليس غنى المال، وإنما غنى القلب، وأن أعظم ثروة يملكها الإنسان هي حرية قلبه من التعلق بغير الله. فمن استغنى بالله أغناه الله، ولو كان قليل المال، ومن افتقر إلى الدنيا ظل فقيرًا، ولو ملك كنوز الأرض.

وقد عُرف ابن تيمية بعزة النفس، فلم يكن يطلب جاهًا ولا مالًا، ولم يجعل علمه وسيلةً للتكسب أو التقرب إلى أصحاب السلطان، بل عاش حرًّا في قوله ومواقفه، حتى تحمل السجن والأذى في سبيل ما يعتقده حقًا. وكان يقول: «المحبوس من حُبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه.»[63]

وكان يقول أيضًا: «في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.»[64]

ويقصد بها جنة الإيمان، والأنس بالله، والرضا بقضائه، والطمأنينة بذكره، وهي أعظم أنواع الغنى التي لا تُشترى بمال.

لقد أدرك ابن تيمية أن الإنسان قد يكون غنيًّا بالمال، لكنه فقيرٌ بالخوف والطمع والقلق، وقد يكون قليل المال، لكنه أغنى الناس؛ لأنه حرٌّ من عبودية الدنيا، راضٍ بما قسم الله، معتمدٌ عليه وحده.

ولهذا كان ابن تيمية رحمه الله نموذجًا للعالم الذي امتلك حرية القلب، فامتلك معها الغنى الحقيقي؛ غنى العزة، والقناعة، والاستغناء بالله عن الخلق، وهو الغنى الذي لا تنقصه الأيام، ولا تسرقه تقلبات الحياة.

هدايات الرزق:

- الاستغناء بالله هو أعظم أسباب حرية القلب .
- السعادة تنبع من الإيمان واليقين لا من وفرة الرزق .

63 الوابل الصيب لابن القيم.
64 ذيل طبقات الحنابلة.

- من تحرر من التعلق بالدنيا عاش مطمئناً مهما قل ماله .
- أعظم الأرزاق قلبٌ عامر بالإيمان، حرٌ من رقِّ الخلق والدنيا.

عاشرًا: الإمام ابن القيم رحمه الله

البركة ثمرة الطاعة

كان ابن القيم الجوزية كثيرًا ما يربط بين الطاعة والبركة.

ويقرر أن من أعظم آثار الذنوب:

ذهاب بركة العمر.

وبركة العلم.

وبركة المال.

وبركة الوقت.

وأن الطاعة تفتح للعبد من أبواب الخير ما لا يخطر بباله.

إن من يقرأ كتب ابن القيم يدرك أن البركة رزقٌ خفي، لا يُقاس بالأرقام، وإنما تظهر آثارها في دوام النعمة، وسعة الصدر، وحسن العاقبة، وتيسير الأمور، وقبول العمل.

هدايات الرزق:

- البركة ثمرة طاعة الله وتقواه .
- أعظم البركة أن يبارك الله في الوقت، والعمل، والعلم، والرزق.

وقفة تأمل

تأمل هذه الشخصيات...

أبو بكر يعلمنا أن المال إذا دخل الإيمان صار عبادة.

وعمر يعلمنا أن القوة لا تنافي الزهد.

وعثمان يعلمنا أن الغنى لا ينافي الكرم.

وعبد الرحمن بن عوف يعلمنا شرف العمل وعزة النفس.

وأبو هريرة يعلمنا أن العلم رزق كبير.

وعمر بن عبد العزيز يعلمنا أن العدل يجلب النعم.

وأبو حنيفة يعلمنا أن التجارة والورع يجتمعان.

وأحمد يعلمنا القناعة والتخفف من قيود الأرض.

وابن تيمية يعلمنا أن حرية القلب أغلى من كنوز الدنيا.

وابن القيم يعلمنا أن البركة ثمرة الاستقامة.

خاتمة الفصل

إن المتأمل في سير الصحابة والسلف لا يرى رجالًا زهدوا في العمل، ولا قومًا عبدوا المال، وإنما يرى رجالًا عمروا الأرض، وأصلحوا القلوب.

كانوا يتاجرون، ويزرعون، ويصنعون، ويجاهدون، ويؤلفون، ويعلِّمون، ولكنهم كانوا يرون أن اليد التي تعمل ينبغي أن يسبقها قلب يتوكل، وأن المال الذي يدخل البيت ينبغي أن يسبقه دعاء واستغفار.

وهكذا تحولت عقيدة إن **الله هو الرزاق** من فكرة تُقرأ في المصحف، إلى حياة يعيشها الناس، وإلى حضارة قامت على الأمانة، والعدل، والإحسان، والورع، وحسن التوكل.

وفي الفصل القادم نمر سريعاً في ظلال **الكنز المفقود** في زمننا هذا، في زمن ثقافة الغرب والشرق التائهين عن هدي الله.

إنه كنز البركة

فما البركة؟ وفيم تكون؟ وكيف تجتلب؟

الفصل التاسع: البركة في الرزق

السر الذي يجعل القليل كثيرًا، ويجعل الكثير مباركًا

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

تمهيد

إن الحديث عن الرزق يتضمن وبقوة الحديث عن البركة إذ الرزق إذا لم يبارك فيه فليس إلا عقوبة واستدراجاً.

ولأهمية البركة في الرزق أفردتها بفصل مستقل؛ لأنها الرزق الحقيقي.

وقد يملك إنسان ملايين بلا بركة، فيعيش في قلق دائم، وتذهب أمواله في الأمراض والخصومات والديون، ولا يجد لها أثرًا في نفسه ولا في أهله.

وقد يعيش آخر براتب محدود، لكنه ينعم بالسكينة، وتكفيه نفقته، ويبارك الله في أولاده، وصحته، ووقته، فيرى من الخير ما يعجز المال عن شرائه.

اللهم بارك لنا فيما رزقتنا.

أولًا: ما معنى البركة؟

البركة في لغة العرب هي: ثبوت الخير ونماؤه ودوامه.

وأما في معناها الشرعي، فهي أن يجعل الله في الشيء خيرًا أكثر من حجمه، ونفعًا أعظم من ظاهره.[65]

فقد يبارك الله في ساعة، فتنجز فيها ما لا تنجزه في أيام.

ويبارك في مال قليل، فيسد حاجات كثيرة.

ويبارك في علم يسير، فينتفع به آلاف الناس.

ويبارك في ولد واحد، فيكون صلاحه خيرًا من أموال الدنيا.

فالبركة ليست زيادة في العدد فقط، بل زيادة في النفع، والدوام، والأثر.

ثانيًا: البركة هبة من الله

إنها نعمة لا تُشترى بالمال، ولا تُكتسب بالذكاء وحده، وإنما هي عطية من الله لعباده.

ولهذا كان النبي ﷺ يدعو بها في أمور الحياة كلها، في طعامه وشرابه، وزوجه، وولده، وماله.

فمن دعائه "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا **فِي ثَمَرِنَا**، وَبَارِكْ لَنَا **فِي** مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا **فِي** صَاعِنَا"[66]

---

[65] البركة في الرزق ، عبدالله السوالمة.
[66] مسلم.

ومن دعائه" أمَا لو أنَّ أحَدَهم يَقولُ حينَ يَأتي أهلَه: باسمِ اللهِ، اللهُمَّ جَنِّبني الشَّيطانَ، وجَنِّبِ الشَّيطانَ ما رَزَقتَنا، ثُمَّ قُدِّرَ بينَهما في ذلك، أو قُضيَ ولَدٌ؛ لم يَضُرَّه شَيطانٌ أبَدًا"[67]

وكان عليه الصلاة والسلام إذا رفأ الإنسان إذا تزوج، قال:" بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير"[68]

ودعا لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: "اللهُمَّ أكثِر مالَه، وولَدَه، وبارِكْ له فيما أعطَيتَه[69]".

ودعا لأمته فقال: "اللهم بارك لأمتي في بُكورها"[70].

ثالثًا: في أي شيء تكون البركة

أ. في الوقت

من أعظم ما يفتقده الناس اليوم بركة الوقت.

تمر الساعات الطويلة، ولا يكاد الإنسان ينجز شيئًا.

وتتعدد الوسائل التي وفرت الجهد، لكن كثيرًا من الناس أصبحوا أقل إنتاجًا، لأن البركة إذا نزعت من الوقت، ضاع العمر في أمور لا تنفع.

وكان السلف ينجزون في أعمار قصيرة ما تعجز عنه أجيال كاملة.[71]

---

67 البخاري ومسلم..
68 الصحيح المسند للوادعي.
69 البخاري ومسلم..
70 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي.
71 من أفضل ما قرأت كتاب عبد الفتاح أبو غدة (قيمة الزمن عند العلماء) كتاب ماتع نافع.

فهذا الإمام النووي رحمه الله، عاش عمرًا لم يتجاوز خمسًا وأربعين سنة، وترك تراثًا علميًا لا تزال الأمة تنتفع به إلى اليوم.[72]

وهذا الإمام البخاري رحمه الله، جمع أصح كتب السنة، وأفنى عمره في خدمة حديث رسول الله ﷺ، فبارك الله في وقته وعلمه.

إن السر ليس في طول العمر، وإنما في بركة العمر.

ب. البركة في المال

قد يزيد المال، وتقل منافعه.

وقد يقل المال، ويكثر خيره.

والفرق بينهما أن المال المقرون بطاعة الله يثمر سعادة، أما المال المجرد من البركة، فقد يكون سببًا في شقاء صاحبه.

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276].

فالصدقة تنمي المال، ومن صدق وعد الله، رأى آثار هذه الآية في حياته.

ج. البركة في الأهل والذرية

ليس كل من كثر أولاده كان أوفر حظًا.

وليس كل من قل عدد أبنائه كان أقل خيرًا.

---

[72] شرح ألفية العراقي للخضير.

إن البركة في صلاح الأبناء، واستقامتهم، وبرهم، ودعائهم لوالديهم.

قال تعالى على لسان عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

الفرقان: 74.

فصلاح ولد واحد قد يكون خيرًا من كنوز الأرض.

وكم من أب عاش سعيدًا بدعوة صالحة من ابنه، بعد أن انقطع عمله من الدنيا.

د. البركة في العلم

العلم من أعظم الأرزاق.

وبركته لا تكون بكثرة المعلومات، وإنما بحسن الانتفاع بها، وتعليمها، والعمل بها.

فكم من عالم لم يؤلف إلا كتبًا قليلة، لكنها غيرت حياة أجيال.

وكم من مؤلفات كثيرة طويت مع أصحابها، لأنها خلت من الإخلاص.

ولهذا كان العلماء يعتنون بإصلاح نياتهم، أكثر من عنايتهم بكثرة مؤلفاتهم.

رابعًا وخامساً: أسباب نزول البركة، وموانع نزولها.

دل القرآن والسنة على أسباب كثيرة تجلب البركة ، هي نفسها أسباب ومفاتيح الرزق.

وكذلك دل القرآن والسنة على موانع نزول البركة، هي نفسها موانع الرزق.[73]

[73] راجع الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب.

وقفة إيمانية

إذا أردت أن تعرف مقدار البركة في حياتك، فلا تنظر إلى حجم دخلك وحده.

انظر:

هل تجد راحة في قلبك؟

هل يكفيك ما رزقك الله؟

هل ترى أثر الخير في أهلك؟

هل ينتفع الناس بعلمك وعملك؟

هل يمضي يومك في طاعة وإنجاز؟

فإن وجدت ذلك، فقد أوتيت من الرزق خيرًا كثيرًا، ولو لم تكن من أصحاب الثروات.

هدايات الرزق

- البركة عطية من الله تُنال بالطاعة والتقوى وحسن الظن به.
- لا تُقاس الأرزاق بكثرتها، بل بما يجعل الله فيها من نفع وأثر.
- الطاعات تجلب البركة، والمعاصي والحرام تمحقها وإن كثر المال.
- من رزقه الله البركة في دينه ووقته وماله وأهله وعلمه فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

خاتمة الفصل

البركة هي الرزق الذي لا تراه العين، ولكن ترى آثاره في كل شيء.

وهي السر الذي يجعل حياة المؤمن مطمئنة، وإن قل ماله.

وهي العطاء الذي إذا حل في المال نما، وإذا حل في الوقت اتسع، وإذا حل في العلم انتشر، وإذا حل في الأسرة صلحت، وإذا حل في القلب امتلأ سكينة ورضًا.

البركة تجعل القليل كثيرًا، واليسير عظيمًا، والدنيا كلها طريقًا إلى رضوان الله.

ومن الحديث عن البركة، ننتقل إلى لمحة عاجلة عن طلب الرزق في الواقع المعاصر بين تحديات الواقع وهداية الوحي.

الفصل العاشر :قواعد الرزق في واقع المسلم المعاصر

بين تحديات العصر وهداية الوحي

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]

تمهيد

لم تكن قضية الرزق يومًا مجرد مسألة اقتصادية، بل كانت – ولا تزال – قضية إيمانية وأخلاقية وحضارية.

ولئن تغيرت وسائل الكسب عبر العصور، من الرعي والزراعة والتجارة إلى الصناعة والتقنية والاقتصاد الرقمي، فإن السنن التي تحكم الرزق لم تتغير؛ لأن الذي خلق الإنسان هو الذي شرع له أسباب معيشته، وهو أعلم بما يصلحه.

لقد أصبح الإنسان المعاصر يعيش في عالم متسارع، تتبدل فيه الوظائف، وتنقلب الأسواق، وتظهر مهن جديدة لم تكن معروفة من قبل، وتختفي أخرى كانت عماد الاقتصاد في الماضي.

وفي وسط هذه التحولات، قد يقع كثير من الناس في الحيرة، أو القلق، أو اللهث وراء المال، أو اليأس عند فقدان العمل.

ومن هنا تأتي أهمية العودة إلى القرآن والسنة، لا لنبحث عن أسماء الوظائف الحديثة، ولكن **لنستلهم القواعد الكبرى التي تهدي المسلم في كل زمان ومكان.**

أولًا: العمل عبادة مهما اختلفت صوره

لم يحصر الإسلام الكسب في مهنة معينة.

فالزراعة عبادة.

والصناعة عبادة.

والتجارة عبادة.

والطب عبادة.

والتعليم عبادة.

والبرمجة، والهندسة، والتصميم، والإعلام، والبحث العلمي، وكل عمل مباح ينفع الناس، يمكن أن يكون عبادة إذا صلحت النية، وأُدي بإتقان وأمانة.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه».[74]

وقال: "إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كل شيءٍ ".[75]

ولذلك لا ينظر الإسلام إلى نوع المهنة بقدر ما ينظر إلى مشروعيتها، وإلى أثرها، وإلى أخلاق صاحبها.

---

74 السلسلة الصحيحة للألباني.
75 مسلم.

ثانيًا: البطالة ليست قدرًا يُستسلم له

قد يمر الإنسان بمرحلة يفقد فيها عمله، أو تتعطل تجارته، أو يخسر مشروعه.

وهذا من الابتلاء.

لكن الإسلام لا يربي المسلم على الاستسلام.

بل يربيه على المبادرة.

قال النبي ﷺ: «لأن يأخذَ أحدُكُم أحبلَهُ، فيأتيَ الجبلَ، فيجيءُ بحزمةِ حطبٍ على ظَهْرِهِ فيبيعَها، فيستغنيَ بثَمَنِها، خيرٌ لَهُ من أن يسألَ النَّاسَ، أعطوهُ أو منعوهُ ».[76]

إن قيمة الإنسان ليست في نوع العمل، بل في شرف الكسب.

ولذلك كان الصحابة يعملون في أبسط المهن، ولم يروا في ذلك نقصًا في كرامتهم.

ثالثًا: التجارة في العصر الحديث

التجارة اليوم لم تعد مقصورة على الأسواق التقليدية.

بل أصبحت تشمل التجارة الإلكترونية، والمنصات الرقمية، والخدمات عبر الإنترنت، والتسويق، والاستيراد والتصدير، والعمل الحر.

وهذه كلها وسائل مباحة إذا التزمت بأحكام الشريعة.

ومن أهم الضوابط:

[76] صحيح ابن ماجه.

- الصدق في الإعلان.
- الوفاء بالعقود.
- تجنب الغش والخداع.
- البعد عن الربا والمقامرة والغرر المحرم.
- احترام حقوق الناس وحقوق الملكية.

فالتقنية لا تغير الحكم الشرعي، وإنما تغير الوسيلة فقط.

رابعًا: الوظيفة والأمانة

الوظيفة ليست مجرد راتب، بل هي أمانة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ النساء 58.

ومن صور الأمانة:

الالتزام بساعات العمل.

والإخلاص في الأداء.

وعدم استغلال المنصب.

وحفظ أسرار العمل.

والبعد عن الرشوة والمحسوبية.

فالراتب لا يحل إلا بعمل يؤدى بحق.

خامسًا: الاستثمار بين الطموح والضوابط

من نعم الله أن أباح لعباده تنمية أموالهم.

لكن الإسلام لا يبيح كل وسيلة.

فالاستثمار المشروع يقوم على:

- الوضوح.
- وتحمل المسؤولية.
- والبعد عن الربا.
- والبعد عن الغرر الفاحش.
- وتحقيق المنفعة الحقيقية.

أما الطرق التي تقوم على الوهم، أو الاحتيال، أو أكل أموال الناس بالباطل، فهي وإن حققت أرباحًا مؤقتة، فإنها تنغص العيش، وتعرض صاحبها للإثم.

سادسًا: الديون بين الحاجة والخطر

أصبح كثير من الناس يعيشون على الديون ليس لضرورات الحياة وحاجياتها، لكنها لتفاهات روج لها من لا عقول لهم وتبعهم الكثير فلحقهم العنت وضيق العيش.

وقد تكون الحاجة إلى الدين أحيانًا مشروعة.

لكن الإسلام ينظر إلى الدين على أنه مسؤولية عظيمة.

وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من غلبة الدين.[77]

وقال: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه"[78].

فينبغي للمسلم ألا يستدين إلا عند الحاجة، وأن يحرص على الوفاء، وألا يجعل الاستهلاك والتفاخر سببًا لإثقال نفسه بالديون.

سابعًا: الرزق في عصر التقنية والذكاء الاصطناعي

يشهد العالم اليوم ثورة تقنية غير مسبوقة.

وأصبحت أدوات الذكاء الاصطناعي، وتحليل البيانات، والأتمتة، والعمل عن بُعد، من أهم وسائل الإنتاج.

ولا تعارض بين الاستفادة من هذه الوسائل وبين التوكل على الله.

بل إن تعلم المهارات الجديدة، ومواكبة التطور، من الأخذ بالسنن التي أمر الله بها.

لكن يبقى الميزان ثابتًا: كل وسيلة تؤدي إلى نفع الناس، وتحترم القيم والأحكام الشرعية، فهي من أبواب الرزق المباح.

أما إذا استعملت في الظلم، أو الاحتيال، أو نشر الفساد، فإنها تتحول إلى باب من أبواب الإثم، مهما عظمت أرباحها.

---

77 البخاري ومسلم..
78 الترمذي.

ثامنًا: لا تجعل المقارنة تسرق رزق قلبك

من أكبر أمراض هذا العصر أن الناس يقارنون أنفسهم بمن يرونهم في وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي.

فيرى الإنسان نجاح غيره، ولا يرى تعبه.

ويرى ثروته، ولا يرى ابتلاءه.

ويرى ظاهره، ولا يعلم حقيقته.

فينشأ الحسد، والسخط، واحتقار النعمة.

وقد قال النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم".[79]

إن المقارنة الدائمة تقتل القناعة، وتسرق السكينة.

تاسعًا: النجاح الحقيقي

في ثقافة العصر، يقاس النجاح غالبًا بحجم الدخل، وعدد الممتلكات، والشهرة.

أما القرآن فيقدم ميزانًا مختلفًا.

فالنجاح أن يكون المال حلالًا.

وأن يكون القلب مطمئنًا.

---

[79] مسلم.

وأن تكون الأسرة مستقرة.

وأن يكون الدين محفوظًا.

وأن يختم للإنسان بخير.

فما قيمة الملايين إذا خسر الإنسان نفسه؟

قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الزمر: 15.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ (1) إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ (2) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ (3)﴾ سورة العصر.

وفي الحديث: " قد أفلح من رزق كفافا"[80].

عاشرًا: المسلم صانع للرزق لا مستهلك فقط

لا يريد الإسلام من المسلم أن يكون عالة على غيره.

بل يريده أن يكون منتجًا.

يبني ويبتكر.

ويخترع ويزرع.

ويعلم ويصنع.

---

80 مسلم.

ويفتح أبواب العمل لغيره.

فكل مشروع نافع، وكل صناعة نافعة، وكل علم ينتفع به الناس، هو باب من أبواب عمارة الأرض التي استخلف الله الإنسان فيها.

هدايات الرزق

- لا تجعل وسائل الكسب تشغلك عن الغاية التي خُلقت لها: عبادة الله .
- قارن نفسك بمن هو دونك في الدنيا، وفوقك في الآخرة .
- اجعل لك نصيبًا دائمًا من الصدقة؛ فهي من أسباب نماء الرزق وبركته .
- طوّر مهاراتك وأتقن عملك؛ فالإتقان من أخلاق المسلم وأسباب التوفيق .
- احذر ثقافة الاستهلاك والإسراف؛ فحسن التدبير من شكر النعمة .
- اجعل يقينك بوعد الله أعظم من خوفك من تقلبات الأسواق والوظائف.

خاتمة الفصل

لقد تغيرت الأسواق، وتطورت المهن، وتعقدت الأنظمة الاقتصادية، لكن الإنسان بقي هو الإنسان، بقلبه الذي يخاف، ويرجو، ويطمع، ويقلق.

ولذلك يبقى القرآن هو الدواء، وتبقى السنة هي النور.

فالمسلم المعاصر أحوج ما يكون إلى أن يجمع بين العلم الشرعي، والكفاءة المهنية، والأخلاق العالية، والتوكل الصادق، حتى يكون ناجحًا في دنياه، فائزًا في آخرته.

إن الأمة التي تجمع بين الإيمان والإتقان، وبين العبادة والعمل، وبين الأخلاق والإنتاج، هي الأمة التي تستحق وعد الله بالاستخلاف والتمكين ورغد العيش.

وفي الفصل القادم ننتقل إلى فقه الرضا والقناعة وحسن الظن بالله، وهو فصل إيماني عميق، يُعد ثمرةً لما سبقه؛ إذ يبين كيف يعيش المؤمن مطمئن القلب، سواء أوسع الله عليه في الرزق، أم ضيق عليه لحكمة يعلمها سبحانه.

الفصل الحادي عشر: فقه الرضا والقناعة وحسن الظن بالله

حين يستقر اليقين في القلب

تمهيد

بعد أن عرف المؤمن أن الله هو الرزاق، وأن الأرزاق مكتوبة، وأن لها أسبابًا وسننًا وموانع، يبقى السؤال الكبير:

كيف يعيش القلب مع الرزق؟

إن القضية ليست أن تملك المال، ولكن أن يملك قلبك السكينة.

وليست أن يكثر رزقك، ولكن أن يرضى قلبك بقضاء ربك.

فالناس جميعًا يطلبون الرزق، ولكن قليلًا منهم من يطلب الرضا.

وما أكثر الأغنياء الذين يعيشون في خوف دائم من الفقر!

وما أكثر الفقراء الذين يسكن في قلوبهم من الطمأنينة ما لا تشترى بكنوز الأرض.

ذلك لأن الرضا ليس ثمرة المال، وإنما ثمرة الإيمان.

لقد أراد القرآن أن يربي الإنسان على أن تكون علاقته بالخالق أعظم من علاقته بالخلائق، وأن تكون ثقته بوعد الله أقوى من ثقته بما يراه بعينه.

وهنا يبدأ فقه الرضا.

أولًا: الرضا عبادة قلبية

الرضا ليس استسلامًا للواقع، وليس ضعفًا، وليس تعطيلًا للأسباب.

إنما هو سكون القلب إلى اختيار الله، بعد بذل الوسع في الطاعة والسعي.

قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

فجمع الله بين رضاه عن عباده، ورضاهم عنه.

وهذا هو أعلى مقامات الإيمان.

وكان النبي ﷺ يدعو فيقول: "وأسألك الرضا بعد القضاء"[81].

لأن الرضا قبل وقوع البلاء قد يدعيه كثيرون، أما بعد نزوله، فلا يثبت عليه إلا من امتلأ قلبه يقينًا.

وقد قيل: من رضي بما قسم الله له استراح بدنه.

ثانيًا: القناعة... كنز القلب

قال رسول الله ﷺ: "قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه"[82].

الكفاف...ليس الفقر المدقع.

وليس الغنى الفاحش.

بل هو ما يكفي الإنسان ويغنيه عن سؤال الناس.

---

81 المستدرك على الصحيحين.
82 مسلم.

ثم تأتي القناعة، فتحول هذا الكفاف إلى نعيم.

ولو فقدت القناعة، لما كفت خزائن الأرض صاحبها.

وفي الحكمة: من لم يقنع بالقليل، لم يشبع بالكثير.

إن القناعة ليست قتلًا للطموح، وإنما قتلٌ للطمع.

فالطموح يدفع إلى العمل.

أما الطمع فيدفع إلى القلق والحسد وأكل الحرام.

ثالثًا: حسن الظن بالله

من أعظم ثمار الإيمان أن يحسن العبد الظن بربه.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"[83]

وحسن الظن لا يعني الأمن من مكر الله، ولا ترك الأسباب، وإنما يعني أن يوقن العبد أن ربه أرحم به من نفسه.

فإذا تأخر الرزق، قال: لعل الله يدخر لي خيرًا.

وإذا ضاق العيش، قال: لعل في هذا الضيق سلامة لديني.

وإذا فُتح عليه، قال: هذا فضل ربي.

---

[83] البخاري ومسلم.

إنه يعيش مع الله في كل حال.

قال عبد الله بن مسعود: (إن أرجى ما أكون للرزق إذا قالوا: ليس في البيت دقيق).[84]

أي أن ثقته بوعد الله كانت تزداد عند اشتداد الحاجة.

رابعًا: لا تحزن على ما فات

قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: 23.

كم من إنسان ضاعت عليه فرصة تجارة أو وظيفة أو مشروع.

فبقي سنوات يردد: لو أني فعلت...

لكن القرآن يحرر المؤمن من أسر الماضي.

فما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

ولذلك قال النبي ﷺ: "وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل"[85].

84

85 مسلم.

كان شريح القاضي إذا أصابته مصيبة قال: (إني لأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني)[86].

فحوّل المصيبة إلى باب للشكر بدل الحسرة.

خامسًا: ولا تفرح بما آتاك

قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ الحديد: 23.

أي لا تفرحوا فرح البطر والغرور.

أما الفرح بنعمة الله، فهو مأمور به.

قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس 58.

فالفرق كبير بين الفرح بالشكر تحدثاً بنعمة الله، والفرح بالتكبر على عباد الله.

سادسًا: بين الطموح والرضا

قد يظن بعض الناس أن الرضا يعني ترك الطموح وهذا غير صحيح، فالأنبياء كانوا أطمع الناس في فضل الله، لكنهم لم يكونوا ساخطين على قضائه.

فالرضا يتعلق بما وقع، والطموح يتعلق بما سيأتي.

86 شعب الإيمان.

سابعًا: الغنى الحقيقي

قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[87]

كم من غني فقير القلب.

وكم من فقير غني الروح.

إن المال يملأ الجيوب.

أما الرضا فيملأ القلوب.

ومن امتلأ قلبه بالله، لم يعد فقيرًا، ولو لم يملك إلا قوت يومه.

ثامنًا: ثمرة الرضا

إذا رضي العبد عن ربه، أورثه الله أربع نعم عظيمة:

- سكينةً لا تشتريها الأموال.
- وقناعةً لا تهزمها الفتن.
- وطمأنينةً لا تزعزعها الأزمات.
- وبركةً تجعل القليل كثيرًا.

قال بعض الأمراء لأبي حازم: ارفع إلي حاجتك، قال: هيهات هيهات! رفعتها إلى من لا تُحجز الحوائجُ دونه؛ فما أعطاني منها قنعت، وما زوى عني منها رضيت.[88]

87 البخاري ومسلم.
88 ما رواه الأساطين للجلال السيوطي

تاسعًا: أعظم الرزق

وأخيرًا...ليس أعظم الرزق مالًا.

ولا منصبًا، ولا تجارة، ولا شهرة.

إن أعظم الرزق أن يرزقك الله قلبًا يعرفه.

ولسانًا يذكره.

ونفسًا ترضى بقضائه.

وعملًا يقربك إليه.

فإذا رزقت هذه النعم، فقد أوتيت خير الدنيا والآخرة.

وقفة إيمانية

أيها القارئ...

تذكر أيامًا ضاق فيها رزقك.

ثم فرجها الله.

وتذكر همومًا ظننت أنها لن تزول.

ثم كشفها الله.

وتذكر نعمًا كنت تخاف فقدها، فحفظها الله.

أفلا يدعوك هذا إلى أن تحسن الظن بربك فيما بقي من عمرك؟

إن الذي رزقك أمس...

يرزقك اليوم...

ولن يعجزه أن يرزقك غدًا.

فلا تجعل هم الرزق أكبر من يقينك برب الرزق.

استراحة شعرية

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

دعِ الأيامَ تفعلُ ما تشاءُ

وطبْ نفسًا إذا حكمَ القضاءُ

ولا تجزعْ لحادثةِ الليالي

فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ[89]

وللإمام علي رضي الله عنه:

النفسُ تجزعُ أن تكونَ فقيرةً

والفقرُ خيرٌ من غنىً يُطغيها

وغنى النفوسِ هو الكفافُ فإن أبتْ

فجميعُ ما في الأرضِ لا يكفيها[90]

[89] مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبش.
[90] المصدر السابق.

هدايات الرزق

- الرضا بما قسم الله من أعظم أسباب سعادة القلب .
- حسن الظن بالله يورث الطمأنينة عند تأخر الرزق .
- اليقين بوعد الله يطرد همَّ الرزق وخوف المستقبل .

خاتمة الفصل

إن الرضا ليس منزلة يبلغها الإنسان في يوم وليلة، وإنما هو ثمرة رحلة طويلة من معرفة الله، وتدبر أسمائه وصفاته، وتأمل حكمته في قضائه، والإيمان بأن ما اختاره الله لعبده خير مما يختاره العبد لنفسه.

ولهذا كان الرضا من أجلِّ أعمال القلوب، وأعظم أسباب السعادة، وأقرب الطرق إلى الطمأنينة.

ومن ذاق حلاوة الرضا، عاش غنيًا وإن قل ماله، وعاش مطمئنًا وإن كثرت الفتن، لأنه يعلم أن خزائن الله لا تنفد، وأن رحمته سبقت غضبه، وأن تدبيره لعباده أكمل من تدبيرهم لأنفسهم.

وفي الفصل القادم نختم الجانب العلمي من الكتاب ببيان الرزق في ميزان الآخرة، لندرك أن أعظم الأرزاق ليس ما يفنى بانتهاء الدنيا، وإنما ما يبقى عند الله، وأن التجارة الرابحة حقًا هي التي لا تبور.

الفصل الثاني عشر :الرزق في ميزان الآخرة

الرزق الذي لا ينفد

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: 60]

تمهيد

لقد صحبتنا قضية الرزق منذ أول صفحات هذا الكتاب.

تتبعنا آيات القرآن، وأصغينا إلى هدي النبي ﷺ، وعشنا مع قصص الأنبياء، وسرنا مع الصحابة والسلف، وتأملنا واقع الإنسان المعاصر، ثم وقفنا مع الرضا والقناعة.

لكن بقي السؤال الأكبر...

ما حقيقة الرزق؟ هل الرزق هو المال؟ أم المنصب؟ أم التجارة؟ أم الصحة؟

أم الأولاد؟ أم العلم؟ ...

إن القرآن بعد أن يفتح أمام الإنسان أبواب الدنيا كلها، يلفت بصره إلى الحقيقة الكبرى:

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

القصص 60

فكل رزق في الدنيا محدود، وكل نعمة فيها زائلة.

أما رزق الآخرة فلا ينقطع، ولا يتغير، ولا يزول.

ولهذا كانت الآخرة هي الميزان الذي توزن به جميع أرزاق الدنيا.

أولًا: الدنيا مزرعة وليست دار إقامة

لم يخلق الله الإنسان ليبقى في الأرض، بل ليعبرها.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الحديد:20

وقال النبي:" ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها ".[91] وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"[92].

ليست دعوة إلى ترك الدنيا.

ولكنها دعوة إلى معرفة حجمها الحقيقي.

فالدنيا طريق. وليست وطنًا.

وسوق. وليست دار قرار.

---

[91] صحيح ابن ماجه.
[92] البخاري.

ثانيًا: المال الحقيقي هو ما قدمته لله

قال رسول الله ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي، مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»[93]

كل ما تتركه خلفك...سيصير لغيرك.

أما ما أنفقته لله...فهو الذي يبقى لك.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المزمل 20.

فالرصيد الحقيقي ليس في المصارف.

بل فيما ادخره الإنسان عند ربه.

ثالثًا: التجارة التي لا تبور

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ فاطر 29.

يا لها من عبارة! ﴿تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾. كل تجارة في الدنيا معرضة للخسارة، إلا هذه التجارة؛ لأن ربها كريم، ووعده حق، وخزائنه لا تنفد.

---

93 مسلم

رابعًا: أعظم الخسارة

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الزمر: 15.

فقد يخسر الإنسان مالًا، ثم يعوضه.

وقد يخسر وظيفة، ثم يجد خيرًا منها.

لكن من خسر آخرته...فأي خسارة بعد ذلك؟

ولهذا كان الأنبياء يجعلون الآخرة أكبر همهم.

لا لأنهم زهدوا في الدنيا، ولكن لأنهم عرفوا حقيقتها.

خامسًا: الجنة... أعظم رزق

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ص 54.

وسمى الله نعيم الجنة رزقًا، لأنه العطاء الكامل

الذي لا يعقبه نقص، ولا مرض، ولا خوف، ولا موت.

وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فأي رزق يقارن بهذا الرزق؟

سادسًا: النظر إلى وجه الله

وأعظم من نعيم الجنة كلها...رضوان الله، ورؤية وجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس 26.

وقد فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم.

وهذا هو الرزق الذي لا يوازيه رزق، والنعمة التي لا تعادلها نعمة.

سابعًا: حين تتغير الموازين

في الدنيا...قد يكون الغني مكرمًا، والفقير منسيًا.

لكن يوم القيامة...لن يسأل الله عن حجم الرصيد؛ بل عن مصدره، وفيما أنفقه.

قال النبي ﷺ: "لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ، وعن علمِهِ فيمَ فعلَ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ"[94].

فهناك...تسقط الألقاب، وتختفي الحسابات...ويبقى العمل.

ثامنًا: ميراث الإنسان الحقيقي

إذا مات الإنسان...ترك كل شيء.. ترك بيته، وتجارته، وأرصدته، وأرضه.

ولم يدخل معه قبره...إلا عمله.

قال رسول الله ﷺ:"يَتبَعُ المَيِّتَ ثَلاثةٌ، فيَرجِعُ اثنانِ ويَبقى معهُ واحِدٌ: يَتبَعُه أهلُه ومالُه وعَمَلُه، فيَرجِعُ أهلُه ومالُه، ويَبقى عَمَلُه"[95].

فهذا هو الرصيد الذي لا ينقطع.

---

94 صحيح الترمذي.
95 البخاري ومسلم.

تاسعًا: أعظم الأغنياء

ليس أغنى الناس يوم القيامة أصحاب المليارات، بل أصحاب الحسنات.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المؤمنون 102.

إن الحسنات هي العملة الوحيدة التي لن تفقد قيمتها.

وهي التجارة الوحيدة التي لا تعرف الكساد.

عاشرًا: دعوة إلى مراجعة الحياة

قف مع نفسك لحظة...

لو جاءك اليوم خبر أن عمرك بقي منه أسبوع واحد...

ماذا ستفعل؟

هل ستجمع مالًا أكثر؟ أم ستجمع حسنات أكثر؟

ولو خيرت بين كنوز الأرض كلها، وبين سجدة يقبلها الله منك...

فأي الأمرين تختار؟

إن هذه الأسئلة هي التي تعيد ترتيب الأولويات.

وتصحح بوصلة الحياة.

وقفة إيمانية

يا طالب الرزق... اطلبه، واسع إليه.

وأتقن عملك، وأغن نفسك بالحلال.

وأكرم أهلك.

وانفع أمتك.

لكن لا تنس...أنك راحل.

وأن المال الذي تتعب في جمعه، سيتركك يومًا.

أما ركعة في جوف الليل...

أو دمعة من خشية الله...

أو صدقة أخفيتها...

أو كلمة طيبة قلتها...

فستلقاها يومًا أحوج ما تكون إليها.

فاجعل نصيبك من الدنيا في يدك.

واجعل نصيبك من الآخرة في قلبك.

ومن الشعر حكمة

تزودْ من التقوى فإنك لا تدري

إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ

فكم من صحيحٍ مات من غير علةٍ

وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدهرِ

وقال

ألا إنما الدنيا كظلٍّ زائلٍ

يحلُّ قليلًا ثم يمضي ويرحلُ

فلا تركنَنَّ إليها فإنها

متاعٌ قليلٌ والخلودُ مؤملُ

هدايات الرزق

- الرزق الحقيقي ما نفعك عند الله، لا ما بقي في يدك.
- المال وسيلة لعمارة الدنيا والفوز بالآخرة، لا غاية في ذاته.
- خير الرزق ما أعان على طاعة الله وأعمال البر.
- ما تنفقه في سبيل الله هو الباقي، وما تدخره للدنيا إلى زوال.
- الفائز حقًا من جعل رزقه طريقًا إلى رضا الله وجنته.

خاتمة الفصل

وبعد هذه الرحلة مع الرزق في ضوء القرآن والسنة، يتبين أن أعظم ما ينبغي أن يشغل قلب المؤمن ليس مقدار ما يملك، وإنما ما يقدمه بين يدي الله. فالدنيا دار ابتلاء، والأرزاق فيها وسائل لا غايات، وأمانات لا أملاك دائمة، وما عند الله خير وأبقى.

لقد علمنا القرآن أن الرزق الحقيقي لا ينتهي بانتهاء العمر، بل يبدأ كماله في الآخرة؛ حيث يلقى المؤمن ثمار إيمانه وعمله، فيجد ما أنفقه، وما صبر عليه، وما شكر الله عليه، مدخرًا عند ربه خيرًا وأعظم أجرًا. وهناك يدرك الإنسان أن كل ما فاته في الدنيا كان يسيرًا إذا ربح رضوان الله وجنته، وأن أعظم الخسران ليس فوات المال، وإنما فوات الأجر.

ومن هنا ينبغي للمؤمن أن يجعل نظره دائمًا إلى الدار الآخرة، فيسعى في طلب الرزق الحلال، ويؤدي حق الله فيه، ويستعين به على الطاعة، ولا يجعل الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه. فإذا جاءه الرزق شكر، وإذا ضاق عليه صبر، وإذا مُنع رضي، لأنه يعلم أن ربه أرحم به من نفسه، وأن اختيار الله لعبده خير من اختيار العبد لنفسه.

وحتى تترجم ما تعلمته عن الرزق في هذا الكتاب أحببت أن أهديك نصائح عملية، هي بمثابة خلاصة تجارب نظرية وعملية لنصف قرن من حياة إنسان مثلك، لعلك تنتفع منها بمشيئة الله تعالى، فكان هذا الفصل وصايا عملية في طلب الرزق.

الفصل الثالث عشر: وصايا عملية في طلب الرزق

كيف يعيش المسلم مع الرزق كل يوم؟

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

تمهيد

بعد هذه الرحلة في معاني الرزق، بين آيات القرآن، وهدي النبي ﷺ، وقصص الأنبياء، وسير الصحابة، قد يتساءل القارئ:

كيف أترجم هذه المعاني إلى حياة أعيشها كل يوم؟

إن العلم الذي لا يتحول إلى عمل، يبقى معرفة ناقصة.

والإيمان الذي لا يثمر سلوكًا، يفقد كثيرًا من أثره.

ولهذا كان من تمام هذه الرحلة أن نختمها بوصايا عملية، يستطيع المسلم أن يجعلها منهجًا لحياته، في عمله، وبيته، وتجاراته، وعلاقاته، حتى يكون طلب الرزق عبادةً يتقرب بها إلى الله.

الوصية الأولى

أصلح علاقتك بالله قبل أن تبحث عن زيادة دخلك

إن أعظم استثمار يقوم به الإنسان هو إصلاح قلبه.

فالقلوب إذا صلحت، بارك الله في الأعمال.

وإذا فسدت، لم تغن كثرة الأسباب.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

الطلاق: 2-3.

فاجعل التقوى أساس كل مشروع، وكل وظيفة، وكل تجارة، وكل قرار.

الوصية الثانية

اعمل بإتقان

الإسلام لا يحب الكسل، ولا الفوضى، ولا إضاعة الأوقات.

وكان رسول الله ﷺ يحب العمل المتقن.

فالطبيب، والمعلم، والتاجر، والموظف، والعامل، كلهم يتقربون إلى الله إذا أحسنوا أعمالهم، وأخلصوا فيها.

فالنجاح ليس منافسًا للإيمان، بل هو ثمرة من ثمراته إذا اقترن بالإخلاص.

الوصية الثالثة

لا تدخل الحرام إلى بيتك

قد يبدو المال الحرام سريع الوصول.

لكنه عديم النفع.

وما بني على الحرام، فلا خير في بقائه.

فتحرَّ الحلال في كسبك، وعقودك، وديونك، وتجارتك، ووظيفتك.

فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

الوصية الرابعة

اجعل لك وردًا يوميًا من الاستغفار

الاستغفار ليس عبادة للمذنبين فقط.

بل هو زاد الصالحين.

وكان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم مائة مرة، وهو المغفور له.

فما أحوجنا إلى ملازمة هذا الباب العظيم، رجاءً لمغفرة الذنوب، وبركة الرزق، وانشراح الصدر.

الوصية الخامسة

أكثر من الدعاء

لا تجعل الدعاء آخر الحلول، بل اجعله أولها.

واسأل الله الرزق الحلال، والبركة، والقناعة، والغنى به عمن سواه.

فالله يحب أن يسمع دعاء عبده، ويحب الملحين في السؤال.

الوصية السادسة

أنفق ولا تخف الفقر

اجعل لك صدقة لا تنقطع.

ولو كانت قليلة.

فإن الله لا ينظر إلى كثرة العطاء، وإنما إلى صدق القلب.

وما نقص مال من صدقة، بل يبارك الله فيه، ويخلف على صاحبه من فضله.

الوصية السابعة

حافظ على صلة الرحم

قد تفتح لك زيارة صادقة، أو كلمة طيبة، أو إحسان إلى قريب، بابًا من الرزق لا تعلمه.

فلا تجعل مشاغل الحياة تقطعك عن والديك، أو إخوانك، أو أقاربك.

فصلة الرحم عبادة، وبركة، وسعة في الرزق.

الوصية الثامنة

تعلم مهارة تنفعك

الإسلام يدعو إلى القوة، ومن القوة أن يزيد الإنسان علمه، وخبرته، ومهاراته.

فكل مهارة نافعة تزيد قدرة الإنسان على خدمة الناس، وتحقيق الكفاية، وإغناء نفسه بالحلال.

والتعلم المستمر من شكر نعمة العقل.

الوصية التاسعة

أحسن إدارة مالك

ليس الغنى بكثرة الدخل وحده.

بل بحسن التدبير.

فرتب أولوياتك.

وابتعد عن الإسراف.

وادخر للمستقبل باعتدال.

واجعل جزءًا من مالك للصدقة، وجزءًا للطوارئ، وجزءًا لتنمية دخلك.

فالإسلام دين التوازن، لا دين التبذير ولا التقتير.

الوصية العاشرة

اجعل الآخرة هي الغاية

إذا أصبحت الدنيا أكبر همك، تعبت.

وإذا جعلت الآخرة مقصدك، أصلح الله لك دنياك وآخرتك.

قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة.»[96]

إنها ليست دعوة لترك الدنيا، وإنما لوضعها في مكانها الصحيح.

فالدنيا مزرعة.

والآخرة هي الحصاد.

[96] صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

ميثاق الرزق

بعد هذه الرحلة، أقترح أن يعاهد القارئ نفسه على هذه المبادئ:

- سأؤمن أن الله وحده هو الرزاق.
- سأبذل الأسباب المشروعة، وأتوكل على الله.
- سأتحرى الحلال في كل مكسب.
- سأشكر النعمة، وأصبر على البلاء.
- سأجعل للصدقة نصيبًا من مالي.
- سأصل رحمي، وأحسن إلى الناس.
- سأرضى بما قسم الله لي، دون أن أترك السعي.
- سأجعل بركة الرزق أهم عندي من كثرته.
- سأطلب الغنى الحقيقي، وهو غنى القلب.
- سأجعل كل عملي طريقًا إلى رضا الله.

الكلمة الأخيرة

ربما أغلقت هذا الكتاب الآن...

لكن لا تغلق باب الأمل.

فكل يوم يشرق عليك هو رزق، وكل نفس يتردد في صدرك هو رزق، وكل سجدة أذن الله لك بها هي رزق، وكل نعمة لم تشعر بها لأنها لم تُسلب منك هي رزق.

ولعل أعظم ما أردت أن يهمس به هذا الكتاب إلى قلبك أن الله لم يخلقك لتعيش قلقًا على رزقٍ قد تكفَّل به، وإنما خلقك لتسير إليه بقلبٍ عامر بالإيمان، ويدٍ عاملة، ونفسٍ راضية.

فإذا ضاقت بك الدنيا، فتذكر أن خزائن الله لا تضيق.

وإذا تأخر عنك ما تحب، فثق أنه لا يكون إلا ما شاء الله.

وإذا أقبلت عليك الدنيا، فتذكر أنها من الله، واعلم أن الشكر يحفظ النعمة، وأن المال إذا خلا من رضا الله كان أفقر مما يبدو.

وإذا التبست عليك الطرق، فارجع إلى هذا اليقين :**أن الرزاق هو الله.**

فبه يطمئن الخائف، ويصبر المبتلى، ويقنع الفقير، ويتواضع الغني، ويعلم الجميع أن ما عند الله لا تنفد خزائنه، ولا يخيب راجيه، ولا يضيع من أحسن التوكل عليه.

وإذا خرجت من هذه الرحلة بقلبٍ أقل تعلقًا بالدنيا، وأكثر تعلقًا بالله، فقد بلغت الغاية التي كتبت من أجلها هذه الصفحات.

أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب نورًا لقارئه، وحجةً لكاتبه، وأن يرزقنا جميعًا يقينًا لا يتغير مع تقلب الأحوال، وقلبًا لا يطمئن إلا به، وأن يجعل آخر أرزاق الدنيا حسن الخاتمة، وأول أرزاق الآخرة رضوانه وجنته.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

تم بحمدالله تعالى

في مدينة بريدة العامرة بالخير

يوم الاثنين 21 من شهر الله المحرم

لعام ١٤٤٨هجري

المراجع

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا:

- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد .**الشكر** .
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد .**التوكل على الله** .
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد .**المصنف** .
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر .**الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب** .
- ابن حبان، محمد بن حبان .**صحيح ابن حبان** .
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد .**العقد الفريد** .
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر .**تفسير القرآن العظيم** .
- ابن ماجه، محمد بن يزيد .**سنن ابن ماجه** .
- الآجري، محمد بن الحسين .**الشريعة** .
- أحمد بن حنبل .**المسند** .
- الألباني، محمد ناصر الدين .**السلسلة الصحيحة** .

- الألباني، محمد ناصر الدين .**صحيح الترغيب والترهيب** .
- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح وضعيف ابن ماجه.
- الألباني، محمد ناصر الدين .**صحيح الجامع الصغير وزيادته** .
- البخاري، محمد بن إسماعيل .**الأدب المفرد** .
- البخاري، محمد بن إسماعيل .**صحيح البخاري** .
- البيهقي، أحمد بن الحسين .**شعب الإيمان** .
- التبريزي، محمد بن عبد الله .**مشكاة المصابيح** .
- الترمذي، محمد بن عيسى .**سنن الترمذي** .
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري .**المستدرك على الصحيحين** .
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن .**سنن الدارمي** .
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر .**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** .
- السمعاني، منصور بن محمد .**تفسير السمعاني** .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر .**ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين** .

- الطيار، أحمد بن ناصر .**حياة السلف بين القول والعمل** .
- قبش، أحمد .**مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي** .
- المرصفي، سعد .**الجامع الصحيح للسيرة النبوية** .
- مسلم بن الحجاج .**صحيح مسلم** .
- مقبل بن هادي الوادعي .**الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين** .
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر .**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** .
- أبو غدة، عبد الفتاح .**قيمة الزمن عند العلماء** .

عن المؤلف

مالك مسعد الفرح

كاتب وباحث في الدراسات الإسلامية، حاصل على درجة الماجستير في الفقه، وكانت رسالته بعنوان: «أحكام الغنى في باب الزكاة».

له عناية بالتأليف في مجالات الإيمان والتربية والسلوك، يسعى من خلال كتاباته إلى تقديم المعاني الشرعية بأسلوب يجمع بين التأصيل والإلهام، وربط هدايات القرآن والسنة بحياة الناس.

من مؤلفاته

- بستان العفاف
- إعلان السنة لمن يريد بيتاً في الجنة
- فقه العطور
- الرزق... رحلة يقين: هدايات من القرآن والسنة

الرزق ليس مالاً يُجمع فحسب،
بل يقينٌ يسكن القلب، وبركةٌ تحل في الحياة،
وعطاءٌ من الله لا ينقطع.

في رحلة إيمانية بين آيات القرآن وهدايات السنة،
يأخذنا هذا الكتاب إلى فهم أعمق لمعني الرزق،
وأسبابه، وموانعه، وكيف يعيش المؤمن مطمئناً
بأن خزانن الله لا تنفـد.